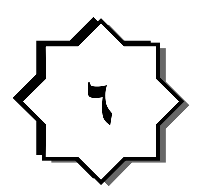
الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية



مِن مجامع الكلم

الداعية الإسلامى

ياسين رشدى

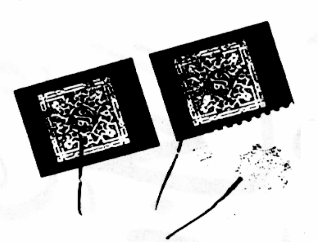
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهــــر
مجمــع البحــوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحـــوث والتـــاليف والترجمـــة



السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : (من جوامع الكلم)
تأليف : الشيخ ياسين رشدي

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية الشريفـة .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مدير عـام
ادارة البحوث والتـاليف والترجمـة

تحريرا فى ٢٢/ ٨/ ١٤١٢ هـ
الموافق ٢٧/ ٢/ ١٩٩٢ م

تـقـديـم

الْحَمْـــــدُ لله كَالَّـــذى نَقُــولُ وَخَيْـــرًا ممَّـــا نَقُـــول ..
أَحْسَــــنَ كُـــلَّ شَـــيْءٍ خَلَقَـــه ، فَالْكُــــلُّ بِالْعنَايَـــة مَشْـــمُول ..
قَدَّرَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ رِزْقَه ، وَكُلٌّ عَلَـــى جَنَـــاحِ النِّعْمَـــة مَحْمُـــول ..
أَعْطَـــى كُـــلَّ شَـــيْءٍ خَلْقَـــــه ، وَكُـــلُّ أَمْـــرٍ إِلَيْـــهِ مَوْكُـــول ..
لَـــهُ فِـــى كُـــلِّ أَمْـــرٍ حِكْمَـــة ، وَإِنْ ذَهِلَـــتْ عَنْهَـــا الْعُقُـــول ..
نَحْمَدُهُ تَبَـــارَكَ وَتَعَـــالَى حَمْـــدًا هُـــوَ بِالثَّنَـــاءِ عَلَيْـــه مَوْصُـــول ..
وَنَعُـــوذُ بِنُـــورِ وَجْهِـــهِ الْكَـــرِيمِ مِـــنَ السُّـــحْتِ وَالْغُلُـــــول ..
وَنَرْجُـــوهُ الْعِصْمَـــةَ مِنَ الْحَـــرَامِ فِـــى كُـــلِّ مَشْـــرُوبٍ وَمَأْكُـــول ..

❁❁❁

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْحَىُّ الَّـــذى لاَ يَمُـــوتُ وَلاَ يَـــزُول ..
الْمُسْـــــتَوِى عَلَـــــى عَرْشِـــــهِ دُونَ مُمَاسَّـــــة أَوْ حُلُـــــول ..
شَهِدَ لِنَفْسِـــه بِالْوَحْدَانِيَّـــة ، وَشَـــهِدَ لَـــهُ الْمَلاَئِكَـــةُ وَالْعُـــدُول ..
لاَ يَشْغَلُهُ شَـــأْنٌ عَـــنْ شَـــأْن ، وَغَيْـــرُهُ عَـــنْ شَـــأْنه مَشْـــغُول ..
لاَ يُعْجِـــزُهُ شَـــىْءٌ ، وَكُـــلُّ مُـــرَادٍ لَـــهُ فِـــى الْكَـــوْنِ مَفْعُـــول ..
لاَ يُسْـــأَلُ عَمَّـــا يَفْعَـــلُ ، وَكُـــلُّ مَـــنْ عَـــدَاهُ مَسْـــئُول ..
لاَ يَخْفَـــى عَلَيْـــهِ شَـــىْءٌ ، فَـــلاَ حَائِـــلَ دُونَ عِلْمِـــهِ يَحُـــول ..

يَـــرَى وَيَسْـــمَعُ ، وَسَـــتْرُهُ عَلَـــى الْعُصَـــاةِ مَسْـــدُول ..
فَـــتَحَ أَبْـــوَابَ تَوْبَتِـــهِ لِكُـــلِّ أَسِـــيرٍ فِـــى الإِثْـــمِ مَغْلُـــول ..
لاَ يَـــرُدُّ سَـــائِـــلاً ، وَدُعَـــاءُ الصَّـــالِحِيـــنَ لَـــدَيْـــهِ مَقْبُـــول ..

❁❁❁

وَأَشْـــهَدُ أَنَّ سَـــيِّدَنَا مُحَمَّـــدًا عَبْـــدُ للهِ وَرَسُـــول ..
دَعْوَةُ الْخَلِيل ، وَقُرَّةُ عَـــيْنِ إِسْـــمَاعِيل ، وَبُشْـــرَى ابْـــنِ الْبَتُـــول ..
أَشْرَقَ عَلَى الْوُجُودِ بِنُورِهِ ، فَـــإِذَا الْكَوَاكِـــبُ وَالشُّـــمُوسُ أُفُـــول ..
أُرْسِلَ وَالنُّفُوسُ مَوَاتٌ فَحَيِيَتْ ، وَأَيْنَعَـــتِ الزُّهُـــورُ بَعْـــدَ ذُبُـــول ..
بُعِثَ بِـــالْحَقِّ وَالْعُقُـــولُ ظَـــلاَمٌ ، فَأَفَـــاقَ النَّـــاسُ بَعْـــدَ ذُهُـــول ..
قَالَتِ الأَعْرَابُ وَالْكُهَّـــانُ بِـــالظَّنِّ ، فَـــإِذَا هُـــوَ بِـــالْوَحْيِ يَقُـــول ..
رَسَمَ الطَّرِيقَ إِلَى الْهُدَى ، وَلَوْلاَ هَدْيُهُ مَـــا صَـــحَّ لِلْعَبْـــدِ وُصُـــول ..
طُوبَى لِمَـــنْ فَـــازَ بِرُؤْيَتِـــهِ ، أَوْ نَـــالَ فِـــى حَضْـــرَتِهِ الْمُثُـــول ..
شُـــفِىَ الْمَـــرِيضُ بِرِيقِـــهِ ، وَبِلَمْسِـــهِ نَشَـــطَ الْكَسُـــول ..
هُوَ الْحَنَانُ ، هُوَ الأَمَانُ ، وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْـــهِ كُـــلُّ الْهُمُـــومِ تَـــزُول ..
أَعْطَاهُ الإِلَهُ شَفَاعَةً ، وَمِنْ دُونِهَـــا مَـــا كَـــانَ لِلنَّجَـــاةِ حُصُـــول ..
هُـــوَ الْوَسِـــيلَةُ تُرْتَجَـــى ، إِذْ لَـــوْلاَ رِضَـــاهُ لاَنْعَـــدَمَ الْقَبُـــول ..
لَـــهُ الْمَقَـــامُ الأَوْحَـــدُ وَقَـــدْ أَصَـــابَ الْمُقَـــرَّبِينَ خُمُـــول ..
((أَنَا لَهَا)) لَهُ مَقَالَةٌ ، ((وَنَفْسِى ثُمَّ نَفْسِى)) كُلُّ الأَنْبِيَـــاءِ تَقُـــول ..

تَرَاهُ تَحْتَ الْعَرْشِ سَاجدًا ، وَالْخَوْفُ فِى نُفُـوسِ الْجَمْـعِ يَصُـول ..
قُرْبٌ وَنَجْوَى .. حُبٌّ وَزُلْفَى .. وَبحَمْده لرَبِّه يَتَحَقَّـقُ الْمَـأْمُول ..
سَلْ يَا مُحَمَّدُ مَا بَدَا لَكَ ، فَمنْ قَبْلِ الْمَسْـأَلَة أَجَـابَ الْمَسْـئُول ..
اللَّهُـمَّ صَـلِّ وَسَـلِّمْ وَبَـارِكْ عَلَـى الْحَبِيـبِ الْمُصْـطَفَى ،
وَعَلَـى فُـرُوعِ شَـجَرَته وَالأَصُـول ..
وَعَلَى الصَّحْبِ وَالآلِ وَمَنْ تَبِعَ ، وَقِنَـا فِى حُبِّهِم شَـرَّ كُـلِّ عَزُول ..

أما بعد ،،

فخير الكلام كلام الله .. وخير الْهَدْىِ هَدْىُ رسـول الله (ﷺ) القائـل : (**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّه**)[1].. وقد أخبر (ﷺ) عن نَفْسِهِ أنه قد **أُعْطِىَ جَوَامِعَ الكَلِمِ** ، وهى مفاتيح الكـلام ، والبلاغة ، والفصاحة ، والتعبير عن الْمُرَادِ بأَقَلِّ الكلمات دون إخلال بالْمَعْنَى .. وهو الأُمِّىُّ الذى لَمْ يَقْرَأْ ، ولَمْ يَكْتُبْ .. ولذلك كانت كلماتـه (ﷺ) نـورًا ، وضياءً سَهُلَ على الصحابة (رضوان الله عليهم) حفظها والعمل بِهَا .. وقد حرص بعضهم على تَدْوِينِها : كـ « عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ » (رضى الله عنهما) الذى كان يَعْرِف الكتابة .. وحرص البعض الآخر على حفظها فى قلبه كما قِيلَت ، وأعانه الله على ذلك : كـ « أبى هُرَيْرَةَ » (رضي الله عنه) ، وقد نقل الأصحاب (رضـوان الله عليهم) هذا إلى التابِعِينَ الذين حَفظُوه بدورهم فى صُدُورِهم ، ونقلوه إلى تابعيهم

(1) رواه مالك فى الموطأ .

وهكذا .. وكان الشرف كل الشرف – بعد حفظ كتاب الله – لهؤلاء الـــذين حفظوا حديث رسول الله (ﷺ) وحَدَّثُوا به .. وأول مَن ارتفع ذكره فى هذا الشأن « الرَّبِيعُ بْنُ صُبَيْح » ، و« سَعِيدُ بْنُ أَبِى عَرُوبَةَ » اللّذان كانا يُصنِّفان الأحاديث : كُلَّ باب على حِدَة .. وقد حمل لواء الفضل فى جمع أحاديث رســـول الله (ﷺ) وتدوينها « عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ » الْمُلَقَّب بخامس الخلفاء الرَّاشدين الذى كتب إلى « أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ » : (**انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) فَاكْتُبْــهُ ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ**[1] **الْعِلْمِ ، وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ .. وَلاَ تَقْبَلْ إِلاَّ حَدِيثَ النَّبِــيِّ (ﷺ) .. وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لاَ يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا**)[2] .. إلى أن انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة ، فصنَّف الإمام « مالِكُ بْنُ أَنَسٍ » (الْمُوَطَّأَ) بالمدينة المنوَّرة ، و« عَبْدُ الْمَلِكِ بْن جُرَيْجٍ » بِمَكَّةَ ، و« عَبْدُ الرَّحْمنِ الأَوْزَاعِىُّ » بالشَّام ، و« سُفْيَانُ الثَّوْرِىُّ » بالكُوفة ، و« حَمَّادُ ابنُ سَلَمَةَ بنُ دِينَارٍ » بالبصرة .. ثم تلاهم الكثير من الأئمة مثل الإمام : « أَحْمَد ابنُ حَنْبَل » ، و« إسْحَقُ بن رَاهَوَيْه » ، و« البَزَّار » ، وغيرهُـــم .. وأوَّل مـــن صنف فى خصوص الصحيح الإمام « محمد بن إِسْماعِيل البُخَارِىُّ » .. وازدهـــر علم الحديث ، وبرز فيه رجال عُرِفوا بالصِّدق ، والأمانة ، والدقَّـــة المتناهيـــة فى مراجعة **مَتْنِ الحدِيث**[3] ، ومدى إتفاقه مع ما جاء فى القُرآن الكريم .. وكذلك بدقة البحث فى سيرة الرواة ، ومدى صدقهم ، وما عُرِفَ عنهم فى زمانـــهم من :

---

[1] دُرُوس : ضياع .   [2] رواه البخارى كتاب العلم .   [3] متن الحديث : موضوعه وكلماته .

صلاح ، وورَع ، وحفظ .. وفى التحقق من سماع فلان من فلان الذى يَرْوِى عنه ، أو التقائه به ، أو معاصرته له ، وهكذا .. وهو ما يعرف **بِسَنَدِ الحديث** .. ثم قاموا بوضع مَعَايير دقيقة ، وشروطٍ تُوزَنُ بها الأحاديث لمعرفة درجة صِحَّتِها ، ونِسْبَتِها إلى رسول الله (ﷺ) .. وقسَّموا الأحاديث إلى : **صَحِيح** ، **وحَسَن** ، **وضَعِيف** .. **فالأحاديث الصَّحِيحَةُ** : هى التى اشتملت من أوصاف القبول على أعلاها .. **والأحاديث الْحَسَنَةُ** : هى التى اشتملت من أوصاف القبول على أدناها .. أما **الأحاديث الضَّعِيفَةُ** : فهى التى لم تشتمل على شىء منها .. وهذه الأنواع الثلاثة تنقسم إلى فروع : فمنها ما هو **مَرْفُوعٌ** ، وهو الذى اتصل بالنبى (ﷺ) ، وما هو **مَوْقُوفٌ** إن وقف على الصحابة و لم يرفعوه إلى النبى (ﷺ) ، **ومَقْطُوعٌ** إن وقف على التَّابِعىّ الذى يَرْويه ..

هذا .. وإذا لم يسقط راوٍ من السَّنَدِ سُمِّىَ الحديث **مُتَّصِلاً** .. فإن كان الساقط غير الصحابى الذى يرويه عن النبى (ﷺ) كان الحديث **مُنْقَطِعًا** .. أما إن كان الساقط جميع السَّنَدِ ، فالحديث يُسمَّى **مُرْسَلاً أو مُعَلَّقًا** .. وهكذا ..

وقد اتَّفق علماءِ الحديث على أن أصَحَّ الحديث ما اتفق عليه « البُخَارِىُّ » ، و« مُسْلِمٌ » ، ثم ما انفرد به « البُخَارِىُّ » ، ثم ما انفرد به « مُسْلِمٌ » ، ثم ما كان على شرطهما : أى ما كان مَرْوِيًّا عن رجالهما ، و لم يكن فى الصحيحين ، ثم ما كان على شرط « البُخَارِىِّ » : أى مَرْوِيًّا من رجاله ، ولكنه ليس فى صحيحه .. ثم ما كان على شرط « مُسْلِمٍ » : أى مَرْوِيًّا من رجاله ، و لم يكن فى صحيحه ..

وهكذا تتحدد درجة الحديث من الصحة بحسب ضبط رجاله (الرُّوَاة) ، واشتهارهم بالحفظ ، والوَرَع ، وشروط العدالة ..

والْمُتتبِّع لأحاديث رسول الله (ﷺ) يجد أنها قد اشتملت جميع أمور الدنيا والآخرة ، ورسمت الطريق المستقيم الْمُؤَدِّى إلى رضوان الله تعالى بأسلوب فصيح جميل موجز .. فهو (ﷺ) أفصح مَنْ تكلم بالعربية ، وأصدق مَنْ نطق بها .. وما من خير فى الدنيا أو الآخرة إلاَّ ودَلَّنا عليه ، وما من شَرٍّ فى الدنيا أو الآخرة إلاّ وحَذَّرَنَا منه ..

وقد رأينا – أيها القارئ الكريم – أن نقدم لك مجموعة مُختارة من أحاديث سَيِّد المرسلين (ﷺ) وخاتمهم ، تتناول موضوعات عديدة تنير لك **[الطريق إلى الله]** فى مُختلف الظروف والأزمان .. فقد خاطب (ﷺ) بأحاديثه أُمَّته جميعًا منذ بُعِثَ إلى أن تقوم الساعة .. فما اختصَّ منها بزمان صحابته فقد فَهِمُوه وعملوا به ، وما اختصَّ بالأزمان بعدهم فقد آمنوا به ، وحفظوه ، ونقلوا كل ذلك إلى مَنْ جاء بعدهم ، عملاً بقوله (ﷺ) : (**نَضَّرَ اللَّهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا ، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**)[1] ..

وها نحن نطمع فى هذه البُشْرى فنقدم لك هذا الجهد المتواضع مبتغين الأجر من الله وحده .. رَاجِينَ منه – عَزَّ وجَلَّ – :

أن يَنْفَعَنَا جَمِيعًا بِهَذَا النُّور..

وأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُون الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ ..

إنه عَلَى مَا يَشَاءُ قَدَيرٌ ، وبالإجَابَةِ جَدِيرٌ .. وهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى ، ونِعْمَ النَّصِيرُ ..

---

[1] رواه الترمذى كتاب العلم .

نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِه

١ (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى .. فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .. وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[١] ..

هذا الحديث من أعمدة الإسلام ، فما من كتاب حَدِيث إلاّ وأورَدَه .. وما من فَقِيه أو عالِم إلاّ وتناوله بالشَّرح ، إذ يبين أساس حِساب الله تبارك وتعالى لِعِبَاده .. فليست العِبْرة بالعمل ، وإنما العِبْرة بالنية .. والنية محلها القلب .. وقد أجاز بعض العلماء التلفظ بالنية لِيُوَاطِئَ اللسان القلب .. وما من عبادة تصلح بغير نِيَّة .. ولابد لهذه النية أن تسبق العمل .. وقد تكلَّم الحديث عن الهجرة التى كانت فى ذلك الوقت من أَجَلِّ الأعمال وأفضلها ، إلا أن الْحُكْم يسرى على ما دُونِها من أعمال ، فهو من باب ذكر الخاص وهو (الهجرة) بعد ذكر العام وهو (الأعمال) التى شملت الهجرة وغيرها .. والنية كافية – إن صَلَحَتْ – لاستحقاق الأجر والثواب ولو لم يتم العمل إذا كان لظروف خارجة عن إرادة العبد ، لقول الله عز وجل : (وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)[٢] .. وقد يبدو العمل فى ظاهره جليلاً عظيمًا يغبط الناس

---

[١] رواه الجماعة ، واللفظ لأبى داود .

[٢] سورة النساء آية ١٠٠ .

صاحبه عليه ، ومع ذلك يُورده موارد التهلُكة فيُعَاقَبُ عليه بدلاً من أن يُثَاب عليه ، وذلك لفساد نِيَّة العامل ، أو لأنه لم يُرِدْ به وجه الله .. ويبين النبى (ﷺ) ذلك فيقول :

٢ (**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى – يَوْمَ الْقِيَامَةِ – عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**)[1] ..

---

[1] رواه مسلم كتاب الإمارة .

والحديث يَضْرِب المثل بثلاثة أعمال فى الدنيا ، يمكن بواسطتها أن يصل الإنسان إلى أعلى علِّيين .. فمقام الشهادة من أعلى المقامات وأجلّها وأعظمها فضلاً .. إذ إن مع أول دفقة دم من الشهيد تُغْفَرُ له جميع ذنوبه ، ويحيى حياة خاصة فى عالَم البرزخ لقول الله عزَّ وجلَّ : (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[1] .. ومقام الدعوة إلى الله وتعلُّم القرآن وتعليمه من أجلِّ المقامات ، فالعلماء ورثة الأنبياء .. ويُسألُ العلماء يوم القيامة عما يُسأَلُ عنه الأنبياء ، وهم شُهَدَاءِ على عصرهم ومعاصرى زمانـــهم .. أما مقام الإنفاق فهو مقام الكرماء الذين اصطفاهم الله لصنائع المعروف ، وإغاثة الملهوف ، والصدقة تطفئ غضب الرَّب كما يطفئ الماء النار .. ومع ذلك لم يعمل العاملون لهذه الأعمال إلاّ لغضب الجبار ، وعذاب النار ، لأنـــهم أرادوا الدنيا بأعمالهم ، ولم يريدوا بـــها وجه الله الذى يقول : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)[2] .. وكأن الأعمال الصالحة فى ظاهرها والتى يراد بـــها مدح الناس وثناؤهم نوع من أنواع الشِّرْك .. والله تبارك وتعالى لا يغفر أن يُشْرَكَ به .. أما إذا صَلَحَت النية ، وكانت خالصة لوجه الله تعالى فإن صاحبها يُثَاب ولو لم يتم عمله ، أو لم يتخذ صورة العمل الصالح فى نظر الناس لظروف خارجة عن إرادة العامل .. ويتضح ذلك جَليًّا من حديث رسول الله (ﷺ) الذى يقول فيه :

---

(1) سورة آل عمران آية ١٦٩ . (2) سورة الشورى آية ٢٠ .

٣ (**قَالَ رَجُلٌ : لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ ، قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ .. عَلَى زَانِيَةٍ ؟! لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ ، قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ .. عَلَى غَنِيٍّ ؟! لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ .. عَلَى زَانِيَةٍ ، وَعَلَى غَنِيٍّ ، وَعَلَى سَارِقٍ ؟! فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا ، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ**)[1] ..

ويتَّضِحُ من الحديث أنَّ صِدْقَ النية كان سببًا فى قبول الصدقة على رغم وقوعها فى يد مَنْ لا يستحق .. بل أثمرت هذه الصدقات ما لم يخطر ببال : فالزانية سوف تَعِفُّ ، والغَنِىّ سوف يَعْتَبِرُ فينفق مما آتاه الله ، والسارق سوف يتوب .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ**)[2] ..

---

[1] رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى ، واللفظ لمسلم .

[2] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

إِذَا فَسَدَ الزَّمَان

٤ **(بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ : شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ، وَدَعِ الْعَوَامَّ .. فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ .. قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ)**[١] ..

يبين لنا الحديث كيف يتصرَّف المسلم إذا فسد الزمان .. **والْمعرُوف** : هو كل ما عُرِفَ حُسنُه بالعَقْلِ ، والشَّرْعِ .. **والْمُنْكَر** : هو كل ما أنكره العقل السليم ، والشرع الحنيف .. والرسول (ﷺ) يأمرنا أن نأتمر بالمعروف ، ونتناهى عن المنكر .. إلى أن نرى أربعة أمور حدَّدها فيما يلى :

١- **الشُّحُّ الْمُطَاعُ** : الشح هو البُخْلُ الشَّديد ، وهو مَرَضٌ من أمراض النُّفُوس .

٢- **الْهَوَى الْمُتَّبَع** : والهوى هو ما تـــهواه النَّفس وتشتهيه ، وسُمِّى كذلك لأنه يهوِى بصاحبه فى النار .

٣- **الدُّنْيا الْمُؤثَرَة** : وهو أن يُؤْثِر الناس دُنْياهم على أُخْراهم ، فيعملوا لها غافلين عن

---

[١] رواه أبو داود والترمذى وابن حِبَّان والطبرانى ، واللفظ للترمذى .

الموت والحساب ، غير مُبَالين بثواب أو عقاب .

٤ – **الإِعْجَابُ بالرأى** : وهو نوع من أنواع الغرور يجعل صاحبه لا يستمع لنُصْح ناصح ، ولا يستشير أحدًا فى أمر من أموره .. يستبدُّ برأيه ، ويُعْجَبُ بعقله وفكره ، ولا يرى الصواب إلا فيما يأتيه .

فإذا اجتمعت هذه الأمور فى أُنَاس عصر من العصور ، فقد فسدوا وفسد زمانُهم .. فيجد المسلم – الْمُحَافظ على دينه الْمُتَمَسِّك بعقيدته – نَفْسَه وحيدًا بين الناس ، غريبًا عنهم ، لا يتمكن من العيش فى سلام .. تُوضعُ العقبات فى طريقه ، ويُحَارَبُ فى رزقه ، ويُسْخَرُ منه ويُسْتَهزَأُ به .. فيصبح – بتمَسُّكه بدينه – كالقابض على قطعة من النار بيده ..

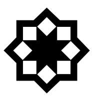
لذلك يبشِّرُ النبى (ﷺ) الْمُتَمَسِّكين بدينهم فى ذلك الزمان بأجر يُساوى أجر خمسين رجلاً من الصحابة ، لأنه لا يجد على الحق نَصِيرًا ، وكان الصحابة (رضوان الله عليهم) يجدون على الحق نَصِيرًا ..

ويأمر النبى (ﷺ) مَنْ يعاصر ذلك الزمان أن يعتَزِل الناس ، وأن يهتمَّ بإصلاح نفسه ، ومن يتولى أمرهم من زوجة وولد ، ويمتنع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذ لن يكون هناك سميع له ولا مُجيب ، وسوف تذهب محاولاته أدراج الرياح ، وخير ما يهديه فى ظلمات ذلك الزمان هو سُنَّة النبى (ﷺ) وسُنَّة أصحابه (رضوان الله عليهم) ، وهذا ما يُؤَكِّده قول النبى (ﷺ) :

٥ (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ .. مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ .. وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ)[1] ..

والبيضاء هى سُنَّة النبى (ﷺ) الواضحة الْجَلَيَّة .. مَنْ تركها هلك ، ومن تَمسَّك بـــها نجا .. فما من خير فى العاجل والآجل إلاّ وقد بيَّنته السُّنَّة وأَمَرَت به ، وما من شَرٍّ فى العاجل والآجل إلاَّ كشفته السُّنَّة وحذرت منه .. والسُّنَّة مُدَوَّنة بفضل الله فى كُتُب الحديث وشروح العلماء فلا عذر لأحد ..

كما يأمر الحديث بطاعة الْحُكَّام – فى غير معصية الله – وعدم الخروج عليهم حتى لا تكون فِتْنَة .. ويُشَبِّه المؤمنَ بالْجَمَل الأَنِف : وهو المجروح فى أنفه ، الذى ينقاد حيث قاده صاحبه ، لأن أى شرود أو امتناع يزيد من وجعه وأَلَمِه ، فهو ذَلُول مُنْقاد .. **والْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ ، لا يُورِد نَفْسَه مَوَارِدَ التهلُكَةِ ..**



[1] رواه أحمد وابن ماجه ، واللفظ لابن ماجه .

٦ (أَتَانِى جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْتُ : آمِينَ .. قال : وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْه أَوْ أَحَدَهُمَا ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْتُ : آمِينَ .. فَقَالَ : وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ)[١] ..

الحديث يتضمّن ثلاثة أمور تُفْتَحُ بِها أبواب الرحمة .. **أولها** : مَنْ أدرك شهر رمضان المبارك فقام بما يجب عليه ، خرج منه كيوم ولدته أمه ، ذلك أن أوَّله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عِتْقٌ من النار .. وقد اختصَّه الْحَقُّ تبارك وتعالى بإنزال القرآن فيه ، لذلك كان من أفضل العبادات فيه بعد الصيام قراءة القرآن ، وقد أُنْزِلَ القرآن ليلاً : (إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ)[٢] .. ففضل لَيْلِ رمضان أكثر من نَهاره ، وفيه ليلة القدر .. والصيام نَهارًا تأهيلٌ للنَّفْس والروح للقيام ليلاً ، وقد فرض الله صيام رمضان ، وسنَّ النبى (ﷺ) قيام ليله .. فمَنْ أدرك رمضان ولم يغتنم الفرصة فلم يُغفر له فقد حُرِمَ وأُبْعِد ..

وثانيها : وجود الأب والأم فى حياة الإنسان نِعمة كُبرى ، لأن مَنْ بَرَّهُمَا غُفِرَ له ، ومن عَقَّهُما أبعده الله عن رحمته .. وقد أَمَّن الرسول (ﷺ) على دعاء « جبريل » (عليه السلام) فى الأولى والثانية وسكت فى الثالثة تواضُعًا لله ورحمة بالأمة .. فقد يغفل

(١) رواه ابن حبان كتاب البر والإحسان .
(٢) سورة القدر آية ١ .

الإنسان عن الصلاة على النبى (ﷺ) إذا ذُكِرَ أمامه ، ولكن « جبريل » أمره بالتأمين على الثالثة فأمَّن (ﷺ) .. وذلك لأن الصلاة عليه (ﷺ) يستفيد منها المصلى ، أما هو (ﷺ) فلا يستفيد منها شيئًا ، فقد صَلَّى الله وملائكته عليه منذ الأزل : (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ)[1] ، ولذلك قال (ﷺ) مُنَبِّهًا : (**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**)[2] .. وصلاة الله على العبد هى : العِنَاية ، والرِّعاية ، والهداية ، والمغفرة .. فبالصلاة على الحبيب (ﷺ) يُغْفر لك .. وقد تأكدت هذه الأمور الثلاثة فى قول النبى (ﷺ) :

٧ **(رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ .. وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ .. وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ)**[3] ..

وهو بيانٌ لِمَا يُصِيب مَن لَمْ يَغْتَنم هذه الفُرَص الثلاث من : ذِلَّة ، وصَغَار .. وكأن أنفه قد التصق بالتراب .. كما يُؤَكِّد النبى (ﷺ) على أهمية رضاء الوالدين وخاصة حال الكِبَر ، وأن ذلك سبب لدخول الجنة فيقول :

٨ **(رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ .. قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّه ؟! قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ : أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ)**[4] ..

---

[1] سورة الأحزاب آية ٥٦ . [2] رواه مسلم كتاب الصلاة . [3] رواه الترمذى كتاب الدعوات .
[4] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

٩ (**أُتِيَ اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً ، فَقَالَ لَهُ : مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟ (قَالَ : وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) قَالَ : يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ .. فَقَالَ اللَّهُ : أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**)[١] ..

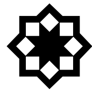
الحديث يُبَشِّرُ التاجر الأمين القنوع بالتجاوز عن زلاَّته ، ومغفرة ذنوبه إذا كان مُتَجاوزًا فى تعامله مع الناس ، رحيمًا بـــهم ، سَمْحًا إذا باع ، سَمْحًا إذا اشترى ، سَمْحًا إذا قضى ، سَمْحًا إذا اقتضى .. إذا تعامل مع الْمُوسِر لم يطمع فى غِناه ، وإذا تعامل مع الْمُعْسِر يَسَّرَ عليه ، ولم يشتد فى مطالبته .. فإذا كان كذلك كان جديرًا بأن يعامله الله بالمثل فيتجاوز عنه .. وهناك مَنْ هو من أصحاب الجنة بسبب حسن معاملته للناس ، فالدين المعاملة ، ويُشير إليه قول النبى (ﷺ) :

١٠ (**إِنَّ رَجُلاً كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ .. قِيلَ لَهُ : انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ، وَأُجَازِيهِمْ** [٢] ، **فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ .. فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ**)[٣] ..

---

[١] رواه مسلم كتاب المساقاة . [٢] أجازيهم : آخذ منهم وأُعطى . [٣] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .

وهذا رجل لم يجد فى حياته عملاً طيِّبًا يشفع له لتَقْبِضَ روحه ملائكةُ الرحمة لا ملائكة العذاب .. فأمهله الْمَلَك ليبحث و لم يعجل عليه كما كان يمهل الناس فى حياته ، فقد كان كريمًا فى تعامله لا يستغل الغَنِىَّ فيتعجله حقه ، ولا يقهر الفقير فيثقله بدَيْنِهِ ، بل كان يتصدَّق عليه عملاً بقول الحق تبارك وتعالى : (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[1] .. فأدخله الله تبارك وتعالى الجنة ، ورَحِمَه بسبب رحمته بالناس ..



(1) سورة البقرة آية ٢٨٠ .

الإِفْلاَسُ الحقِيقِى

١١ (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟! قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ ، وَلاَ مَتَاعَ .. فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : بِصَلاَةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[1] ..

للإنسان فى هذه الحياة ثلاث علاقات :

علاقة مع نَفْسه فإن خانـها فهو الخاسر .. **وعلاقة مع رَبِّه** فإن قصَّرَ فيها فَقَد يُلْهَمُ التوبة ويتوب الله عليه ، أو قد تزيد حسناته على سيئاته فينجو ولو بحَسَنَة واحدة .. **وعلاقة مع الناس** لابد له فيها من مراعاة حقوقهم ، فإن الله يبتلى العباد بعضهم ببعض ، وقد حَرَّمَ الله التظالُم بين الناس ، وجعل كل المسلم على المسلم حرامًا : دمه ، وماله ، وعِرْضه .. فإن ظلمَ امرؤٌ غيره وجب عليه أن يَرُدَّ الحق إلى صاحبه ، أو يطلب منه المسامحة .. فإن لم يفعل أتى يوم القيامة حيث لا ظلم ولا تظالُم فيقضى الله بين العباد بالحق ، وينتصف للمظلوم من الظالِم ، فيأخذ من حسنات الظالِم يُعوِّض بـها المظلوم ، وكلما كثر عدد مَنْ ظلمهم نقصت حسناته حتى تفرغ فَيُؤْخَذ

[1] رواه مسلم كتاب البر والصلة ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

من سيئات المظلوم ، فتُطْرح عليه ، ثم يُطرح فى النار ، فيدخل المظلوم الجنة بحسنات الظالِم ، ويدخل الظالِم النار بسيئات المظلوم .. وهذا إفلاس ليس بعده إفلاس ..

ولذلك كان الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وعمل لِمَا بعد الموت ، وابتعد عن إيذاء الناس : بيده ، أو بلسانه : فلا يغتاب أحدًا ، ولا يَسُبُّ أحدًا ، ولا يعترض على أحد ، فيحتفظ بحسناته ليوم قد ينجو فيه بِحَسَنَة واحدة ترجح بـــها كفَّة حسناته ولذلك يقول النبى (ﷺ) :

١٢ **(إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ)**[1] ..

والإيمان المقصود فى الحديث هو ما وَقَر فى القلب وصدَّقه العمل .. والإيمان يزيد بالعمل الصالح ، وينقص بالعمل السَّيِّئ .. ومن كان حسن الخلق ، لطيفًا بأهله ، يأتى يوم القيامة وحسناته كاملة لا يُؤْخَذ منها شىء ، فليس لأحد عنده مَظْلَمة ، لذلك كان كامل الإيمان .. ويوجِّه النبى (ﷺ) نصيحة غالية لأُمَّته فيقول :

١٣ **(اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**[2] ..

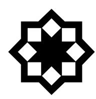
فعلى الإنسان أن يضع تقوى الله نُصْبَ عينيه دائمًا ، إذ هى مِلاَك الأمر ، لأن مَنْ خاف غضب الله وسخطه ابتعد عن المعاصى ، وسلك سُبُل الطاعة ، وراقب نَفْسَه .. فإن وقع فى معصية سارع إلى الاستغفار والعمل الصالح حتى يمحو أثرها ،

---

(١) رواه الترمذى كتاب الإيمان .
(٢) رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

عملاً بقول الحق تبارك وتعالى : (إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)[1] ..

وكذلك تَعَامَل مع الناس : بالْحِلْم ، والعَفْوِ ، والكَرَم ، وحَسَّنَ أخلاقه معهم وقد قِيلَ : (**أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ سِهَامُ الْحَقِّ**) ..



(1) سورة هود آية ١١٤ .

ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

١٤ (**اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ : حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**)[١] ..

الحديث يُحَذِّر من الظُّلْم .. وقد حرَّم الله تبارك وتعالى الظُّلْم على نَفْسِهِ ، وهو الذى لا يُسْأل عما يفعل .. ولا يُتَصوَّر من الله ظلم أصلاً ، ومع ذلك نفى عن نفسه إرادة الظلم فقال : (وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ)[٢] .. وظُلُمات الدنيا أمرها هيِّن ، أما ظُلُمات يوم القيامة فشأنـــها خطير ، إذ الصراط منصوب على حافتى جهنَّم ، وهى سوداء مُظْلِمة ، ولا يتمكَّن من الجواز إلاّ من كان له نور : (يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم)[٣] .. وقد جمع الحديث بين الظلم والشُّحِّ وكأن الشُّحَّ سبب رئيسى للظلم ، إذ يحمل صاحبه على سفك الدماء ، واستحلال المحارم لتحصيل المال من أى طريق ، ومنع الحق عن مستحقيه ضنًّا[٤] بما عنده .. والظُّلْم درجات ، وأعلى درجات الظلم : الشِّرْك ، فقد حكى القرآن قول لقمان لابنه : (يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ)[٥] .. ثم تتفاوت درجات الظُّلْم بين العباد بحسب وضع الظالِم ، وبحسب ما اغتصب من حقوق

---

[١] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [٢] سورة غافر آية ٣١ . [٣] سورة الحديد آية ١٢ .

[٤] الضن : البخل بالشيء والحرص عليه . [٥] سورة لقمان آية ١٣ .

الغير .. فلو كان الظالم ذا منصب ، أو يتولَّى من أمر الناس شيئًا عَظُمت مظالمه ، والرسول (ﷺ) يُحذِّر أُولِى الأمر ، ويدعو على مَنْ ظلم منهم فيقول :

١٥ **(اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ .. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ)**[1] ..

ودعاء النبى (ﷺ) مُستجاب .. فكل مَنْ أتعب مَنْ بيده أمرهم أو مصالحهم و لم يُيسِّرْ لهم مطالبهم ويُسهِّلْ لهم الحصول على حقوقهم مُعَرَّضٌ لأن يَشُقَّ الله عليه : فى حياته ، وفى حِسَابه يوم القيامة ، فتتعطَّل مصالحه فى الدنيا ، ويُصاب فى : أولاده ، وصِحَّته ، وتتعسَّر أموره ، ثم يلقى حِسابًا عَسِيرًا يوم القيامة ، ولا يتجاوز الله عنه .. أما إذا رفق بالناس ، وسهَّلَ لهم أمورهم ، ويسَّرَ لهم الحصول على مطالبهم ، فسوف يُيَسِّر الله له أموره فى الدنيا ، ويحاسبه يوم القيامة حِسَابًا يَسِيرًا .. فإنَّ البِرَّ لا يَبْلَى ، والذَّنْبَ لا يُنْسَى ، والدَّيَّان لا يَمُوت ، وكما تَدِينُ تُدَانُ .. وأخطر درجات الظلم بين العباد هو سفك الدماء بغير حق ، ويُبيِّن النبى (ﷺ) خطورة القتل فيقول :

١٦ **(لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)**[2] ..

ويقول (ﷺ) :

١٧ **(لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)**[3]..

وإذا كان زوال الدنيا بِمَا فيها من : بحار ، وأنـــهار ، وجبال ، وأوْدِيَة ، وأشجار ، ونجوم ، وكواكب .. وما إلى ذلك .. أهون عند الله من قتل مُسْلِم أو

---

[1] رواه مسلم كتاب الإمارة . [2] رواه النسائي كتاب تحريم الدم . [3] رواه ابن ماجه كتاب الديات .

مؤمن بغير حق فلا شك أن عُقوبة القاتل تفوق الخيال ، والأخطر من ذلك أن باب التوبة مُغْلَق أمام قاتل المؤمن بغير حق ، مع أن الله يغفر الذنوب جميعًا غير الشِّرْك ، ومَنْ تاب ، يتوب الله عليه ، لقوله عز وجل : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ)[1] .. ولكنه يقول أيضًا : (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا)[2] .. ولم يستثن مَنْ تاب مِنْ هذا العقاب الذى لا يفوقه عذاب .. وقد سأل رجل السيدة « رابعة العدويَّة » : هل يتوب الله علىّ لو تبتُ ؟ قالت : لا ، بل لو تاب الله عليك لتُبتَ ، ثم قَرَأت : (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ)[3] ..

إذًا لكى يتوب العبد لابد أن يوفِّقه الله للتوبة أولاً .. وقاتل المؤمن لا يُوفَّق للتوبة فرسول الله (ﷺ) يقول :

١٨ **(أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةً)**[4] ..

وكلمة (أَبى) تعنى الامتناع عن الفِعْل مع القُدْرة عليه .. وبذلك لا يكون هناك تعارُض : فمَنْ تاب يتوب الله عليه ، ولكن كيف يتوب العبد ما لَمْ يوفِّقه الله للتوبة ؟!

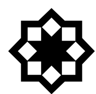
هذا .. وكل مُشَارِك فى قتل مُسْلم بغير حق عليه الوِزْر نفسه .. بل ويحذِّر النبى (ﷺ) مَنْ يستطيع أن يدفع الظلم عن المظلوم ولا يفعل فيقول :

---

(١) سورة النساء آية ٤٨ . (٢) سورة النساء آية ٩٣ . (٣) سورة التوبة آية ١١٨ .

(٤) ذكره الإمام السيوطى فى جامع الأحاديث .

١٩ (لاَ يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا ، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ .. وَلاَ يَقِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ أَحَدٌ ظُلْمًا ، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ)[١] ..



---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

سَيِّدُ الاسْتِغفَار

٢٠ (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ .. قال : وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .. وَمَنْ قَالَهَا بِاللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)[1] ..

هذا الحديث رحمة كبرى من الله ساقها على لسان حبيبه المصطفى (ﷺ) .. فكل ابن آدم خطَّاء ، وخير الخطَّائين التوَّابون .. وصيغة هذا الاستغفار : فيها إقرار بالربوبية ، وإقرار بالألوهية ، وإقرار بالتوحيد – وكأن الإنسان يجدد إيمانه ويجدد العهد مع الله – ثم الإقرار بالعبودية لله وبالضعف والاعتراف بالنِّعَم – وأجلّها نعمة الإسلام – والاعتراف بالذنب ، والندم عليه ، والاستعاذة بالله من آثاره فى الدنيا والآخرة ، وطلب المغفرة ، مع الاعتقاد بأن الله هو الذى يغفر الذنب ويأخذ بالذنب .. فإن استغْفَرَ العبد بِهذه الصيغة وهو مُوقِنٌ بكل ما جاءِ فيها غُفِرَ له على ما كان منه ، وكان من أهل الجنة بفضل الله ..

---

[1] رواه البخارى كتاب الدعوات .

هذا .. وعلى العبد أن يداوم على الاستغفار ، واللجوء إلى الله حتى يُقْلِعَ عن ذنوبه ، وعليه أن يُخْفِى معصيته عن الناس ، ولا يفْضَح نَفْسَه بالحديث عن معصيته بعد أن سَتَرَه الله ، فالنبى (ﷺ) يقول :

٢١ **(أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ اللَّهِ .. مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِى لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ)** [١] ..

وهذا يعنى أن العبد لو ارتكب ذنبًا من الذنوب التى يقام عليها الْحَدُّ [٢] .. فعليه أن يستتر بسَتْر الله عليه ، ولا يُحَدِّث أحدًا بذنبه .. فإن كان من حقوق الله عز وجل كالزِّنا مثلاً تاب وأناب وستر نَفْسَه ، لأنه لو أَقَرَّ بذنبه وَجَبَ إقامة الْحَدِّ عليه .. وإن كان الذنب مُتَعَلِّقًا بحقوق العباد ، فعليه بِرَدِّ الحقوق إلى أصحابها حتى تَصِحَّ توبته .. وفى كل الأحوال على الإنسان أن يبتعد عن الحرام بقدر استطاعته ، وكذلك يبتعد عن الْمُشْتَبهَات – وهى الأمور التى اختلفت الآراء بشأنها : أحلال هى أم حرام ؟ – حتى يضمن لدينه السلامة .. فإن مَنْ يَجْتَرِئ على الْمُشْتَبهَات يوشك أن يقع فى الحرام .. وقد كان الصالحون من السَّلَف يجتنبون بعض المباحات وَرَعًا حتى لا تستمرئ النفس المباح فتستكثر منه مما قد يُوقع الإنسان فى المحظور ..

---

[١] رواه مالك فى الموطأ عن زَيْد بن أَسْلَم .

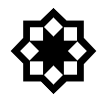
[٢] الحدود : عقوبات مُقَدَّرة وجَبَتَ على الجانى : كقطع اليد للسارق ، والْجَلْد للزَّانى والزَّانِيَة (غير المتزوجين) والرَّجْم حتى الموت للزَّانى والزَّانية (المتزوجين) .

ونبيُّنا (ﷺ) يُنبِّهُ لذلك ، وينصح الأُمَّة فيقول :

| ٢٢ | (اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سُتْرَةً مِنَ الْحَلاَلِ .. مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ أَرْتَعَ فِيهِ كَانَ كَالْمُرْتِعِ إِلَى جَنْبِ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .. وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، وَإِنَّ حِمَى اللهِ فِي الأَرْضِ مَحَارِمُهُ)[١] ..

ويقول (ﷺ) :

| ٢٣ | (إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ)[٢] ..



---

[١] رواه ابن حبان فى صحيحه عن النُّعْمَان بن بَشِير (رضي الله عنه) .

[٢] رواه البخارى ومسلم .. واللفظ لمسلم كتاب المساقاة .

الصَّلاَةُ نُور

٢٤ (**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ .. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ .. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ .. وَالصَّلاَةُ نُورٌ .. وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ .. وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ .. وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ .. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو : فَبَائِعٌ نَفْسَهُ ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**)[1] ..

الطهَارة قسمان : طهارة **حِسِّيَّة** وهى : طهارة البَدَن من الأقذار ، والْحَدَثَيْن : الأصغر ، والأكبر (أى : نواقض الوضوء ، وموجبات الغُسل) .. وطهارة **مَعْنَوِيَّة** هى : طهارة القلب من الغِلِّ ، والْحِقْد ، والْحَسَد ، والكراهِية ، وما إلى ذلك من أمراض تُؤَثِّر على سلامة القلب .. وطهارة البدن تشكل نِصْفَ الإيمان ، إذ إن الوضوء سلاح المؤمن ، وطهارة القلب تشكل النصف الآخر ، فمَنْ حاز الطهارتين كان كامل الإيمان .. فإذا أَقَرَّ العبدُ بِنِعْمَةِ الله عليه ، ونَطَقَ لسانُهُ بالْحَمْدِ ، امتلأ ميزانه بالْحَسَنات .. فإن أضاف إلى ذلك تنـــزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله بقول : (**سُبْحَانَ الله**) فكأنما ملأ ما بين السماء والأرض بالحسنات .. فإذا واظب على الصلاة كانت له نورًا فى حياته ، وفى قَبْره ، وعلى الصراط يوم القيامة ، لأن الصلاة عماد الدِّين ، مَنْ أقامها فقد أقام الدِّين ، ومَنْ تركها فقد هدم

---

[1] رواه مسلم كتاب الطهارة .

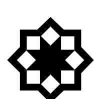
دينه .. وهى أوَّل ما يُسْأل عنه العبد يوم القيامة ، فإذا صَلَحَت صَلَح سائر عمله ، وإذا فَسَدَت فَسَدَ سائر عمله .. وهى الصِّلَة بين العبد وربِّه .. وهى مفتاح الخيرات ، وكفَّارة السيئات ، فالصلاة إلى الصلاة كفَّارة لما بينهما .. وهى مِعْرَاج العبد إلى ربِّه ، يُعْرجُ برُوحِه إلى الملأ الأعلى ، فتفتح له أبواب السماء .. وهى مناجاةُ العبد لله ، وعلامة الخضوع والتذلُّل لله ، والتقرُّب منه ، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .. وإذا تصدَّق العبد من ماله ، كان ذلك برهانًا على ثِقَته بما فى يد الله ويقينه بأن ما عنده ينفد وما عند الله باق .. وصدقة السِّرِّ تُطفِئ غضب الرب .. ومِن السبعة الذين يظلهم الله بظِلِّه يوم القيامة رجل تَصَدَّق بصَدَقَةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شمالهُ ما أنفقت يَمِينُه .. كما أن الصدقات تُداوى الأمراضَ البدنِيَّة والقلبِيَّة ، وتضاعف المال وتنمِّيه ، فما نقص مَالٌ مِنْ صَدَقَة ..

والإنسان فى هذه الحياة مُمْتَحَنٌ بالخير والشرِّ ، فإن أصابته ضراء فَصَبَرَ كان الصبر له ضياء ، يُنِير له الطريق ، ويكشف له عن الْحِكْمة فيما أصابه ، فقد يتبيَّن له أن ما أصابه كفَّارة لبعض الذنوب التى غفل عنها فيستغفر الله منها ، ويرضى بما أصابه من بلاء فى هذه الدنيا الفانِيَة ، حتى لا يُعاقَب على ذنوبه فى الآخرة بما لا يستطيع أن يتحمَّله ، فما من وَصَبٍ ، ولا نَصَبٍ يُصِيب المسلم فى : بدنه ، أو ماله ، أو عياله ، إلاّ ويكفِّر الله به من سيئاته ، ويرفع من درجاته .. والصابرون قد بشَّرهم الله فى كتابه العزيز ، وهم من الذين يُوَفَّونَ أجرَهم بغير حساب ..

والقرآن حُجَّةٌ لِلعَبْدِ أو حُجَّة عليه .. فَمَنْ عمل بما جاء فيه ، كان حُجَّة له يوم القيامة ، وشفيعًا .. ومَنْ تركه وراء ظهره ، كان حُجَّة عليه ، وشهيدًا .. والقرآن

كلام الله ، وخطابه إلى عباده ، ورسالته إليهم .. ويتكرَّر النداء فيه لكل مَنْ يصلح للخطاب على اختلاف أنواعهم : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) .. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) .. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ) .. (يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) .. (يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ) .. (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ) .. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) .. (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ) .. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ) .. (يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ) .. (يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ) ..

لذلك فليس لأحد عُذْر ، ولن يخرج إنسان على وجه هذه الأرض من أحد هذه النداءات .. وعليه فالقرآن حُجَّة للإنسان إذا استجاب للنداء ، ووَعى الْخِطاب .. أو حُجَّة عليه إذا أصمَّ أذنه عن النداء ، و لم يستجب للخِطاب .. ويترتَّب على كل ذلك أن ينقسم الناس إلى فريقين : فريق باع نَفْسَه لله ، فأعتقها من العذاب .. وفريق باع نَفْسَه للشيطان ، فأهلكها وأوجب عليها العقاب ..



٢٥ **(صَنَائِعُ الْمَعْرُوف تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ .. وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ .. وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ)[1] ..**

صنائع المعروف عديدة ومُتَنَوِّعَة منها : عيادة المريض ، وإغاثة الْمَلْهُوف ، والسعْى فى حوائج الناس لقضائها ، وحُسْن الْجِوَار ، وصِدْق الْمَشُورَة ، وإقراض المحتاج ، وقضاء ديون الغَارِمين .. إلخ .. وهذه الأعمال التى يبتغى بها صانعها وجه الله تَقيه مصارع السوء التى يخشاها كل إنسان .. فَمِنْ مصارع السوء أن يموت الإنسان على مَعْصِيَة ، ويُفْتَضَح أمره .. أو يموت بعيدًا عن بيته فى حادث مثلاً ، أو على قارِعَة الطريق ، وما إلى ذلك .. فإن كان من صانعى المعروف سَتَرَهُ الله عز وجل ، وسخَّر له مَنْ يتكفَّل بأمره ، فيتم بأفضل مما كان يمكن لأهله وأولاده أن يفعلوه له .. وصدقة السِّرِّ هى التى لا يراها إلاّ الله فتكون خالصة لوجهه الكريم ، ولا يشوبها رياء ، ولا حُبُّ ثناء ، فتُذْهِب غَضَب الله عز وجل كما يطفئ الماء النار .. فيرضى الله عن العبد ، ويغفر له ذنوبه ، ويمحوها من صحائفه ، ويُنْسيها جوارحه ، فلا تشهد عليه يوم القيامة .. وهو القائل سبحانه : (إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ)[2] .. أما صِلَة الرَّحِم فهى تزيد فى عمر الإنسان .. وهذه الزيادة قد

[1] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى أُمَامَة .

[2] سورة البقرة آية ٢٧١ .

تكون بالبَرَكة فى العمر ، بمعنى أن الإنسان يتمكَّن من إنجاز كل ما يُريد من تربية أولاده حتى يعتمدوا على أنفسهم .. ويحصُل على كل ما يُريد من الدنيا ، ويُصبح زاهدًا فيها مُقبلاً على الله تبارك وتعالى ، راغبًا فى لقائه ، لا يرى فائدة مِنْ بقائه فى الدنيا ، فيأتيه الموت وهو مشتاق إليه ، مطمئن لرحمة المولى عز وجل .. وقد تكون زيادة العمر بالذكر الطيِّب بعد الوفاة ، فكأنه بين الأحياء بدوام ذكره ، والترحُّم عليه ، وذكر محاسنه ، والاستغفار له .. وكل ذلك يضاف إلى رصيد حَسَنَاته ، وكأنه ما زال فى الدنيا يعمل بطاعة الله .. وقد تكون الزيادة فى العمر حقيقية ، كأن يقدر له عشر سنوات زائدة فى عمره مثلاً إن وَصَلَ رَحِمَه .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول : (إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)[1] .. وهذا الأجل فى اللوح المحفوظ لا يتقدَّم ولا يتأخَّر .. وعلى ذلك تكون الزيادة مُقدرة أزلاً بِعِلْم الله الأزلى أن العبد يصل رَحِمَه ويُوَفَّق لذلك ، وقد ينقص من عمره لعلم الله الأزلى بأنه يقطع رَحِمَه ولا يَصِلُها .. وهذه الأقوال الثلاثة للعُلَماءِ قد تجتمع كلها لِمَنْ يَصِلُ رَحِمَه .. ومِنْ صِلَة الرَّحِمِ أن تنفق على الفقراء منهم .. فتُحْتَسَب لك الصدقة مُضاعفة لقول النبى (ﷺ) :

٢٦ (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِى الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ)[2] ..

وكلما كان الإنفاق على الفقراء من الأقارب كان أفضل ، فالأقربون أَوْلَى

---

[1] سورة يونس آية ٤٩ . [2] رواه الترمذى كتاب الزكاة .

بالمعروف .. وكلما كان ذو الرَّحِم متباعدًا عنك غير مُقَدِّر لِمَا تصنعه معه من معروف ، غير شاكر لك ، متعاليًا عليك ، مُسْتكبرًا كانت صدقتك عليه خالصة لوجه الله ، عظيمة الأجر والثواب ، لقول المصطفى (ﷺ) :

٢٧ (**إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ : الصَّدَقَةُ عَلَى ذِى الرَّحِمِ الْكَاشِحِ**)[١] ..

وربُّنا تبارك وتعالى لا يُكَلِّف نَفْسًا إلاّ وُسْعَها .. والصدقة تكون بقدر ما يطيق الإنسان ، فالواجب أن يكتفى الإنسان أولا ثم يكفى مَنْ تلزمه نفقتهم كالزوجة ، والأولاد من الضرورات ولا يبخل عليهم ، فإنه يُثَاب على ذلك ، ثم يتصدَّق على قدر طاقته ورسول الله (ﷺ) يبيِّن ذلك فيقول :

٢٨ (**خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**)[٢] ..

والْمُسَارَعَة إلى أداء الصدقات مطلوبة ، فالإنسان لا يدرى متى يجىء الموت ، وربُّنا تبارك وتعالى يُنبِّه لذلك فيقول : (وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ)[٣] .. وأفضل الصدقة ما يتصدق به العبد وهو فى تمام صحَّته ، يأمل فى طول الحياة ، ورَغَد العيش ، وليس حين يمرض مرض الموت ، ويصبح ماله أقرب إلى ورثته منه إليه ، فحين سُئل النبى (ﷺ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَىُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قال :

---

[١] رواه أحمد مسند الأنصار .. و الكاشح : العدو الذى يضمر عداوته ويطوى عليها كَشْحه أى باطنه .
[٢] رواه النسائي كتاب الزكاة .
[٣] سورة المنافقون آية ١٠ .

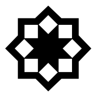
٢٩ **(أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ ، شَحِيحٌ ، تَخْشَى الْفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى .. وَلاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ : لِفُلاَنٍ كَذَا ، وَلِفُلاَنٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ)**(١) ..

وطبيعة الإنسان مجبولة على الشُّحِّ – إلاّ من يُنجيه الله من هذا الدَّاء الخطير – يُحِبُّ المال ويجمعه ، وهو لا يدرى أنه يجمعه لغيره ، فيكون حارسًا له حتى يموت ، ويتركه ، فيُسْأَل عنه ، ويتمتَّع به غيره .. والمالُ الحقيقى هو ما أنفق المرءُ ، ومالُ غيره هو ما خلّف ، فكيف يحب مالَ غيره أكثر من ماله ؟! وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول :

٣٠ **(اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ : مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ ، وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ)**(٢) ..

ويقول (ﷺ) فى حديث آخر :

٣١ **(أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ .. قَالَ : فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ)**(٣) ..



---

(١) رواه البخارى كتابى الزكاة والوصايا ، ومسلم كتاب الزكاة .

(٢) رواه النسائى كتاب الزكاة . (٣) رواه البخارى كتاب الرقاق .

أَهْلُ الله وخَاصَّتُه

٣٢ (**إِنَّ لِلَّه عَزَّ وَجَلَّ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ .. قِيلَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرْآنِ ، هُمْ أَهْلُ اللَّه وَخَاصَّتُهُ**)[١] ..

لا شك أن الحديث مُلْفت للنظر ، ذلك أن الله تبارك وتعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نَسَب .. هو ربُّهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافيَة ، ويدركون ما عنده بالطاعة .. وحين يقول النبى (ﷺ) : (**أَهْلُ الْقُرْآنِ ، هُمْ أَهْلُ اللَّه وَخَاصَّتُهُ**) فهذا يعنى أن حفظة القرآن الكريم لهم منــزلة لا يُدركها غيرهم .. ولا ينالها سواهم .. وقد ورد أن عدد درجات الجنة بعدد آيات القرآن ، ويقال لقارئ القرآن يوم القيامة : (**اقْرَأْ ، وَارْقَ ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**)[٢] .. ويشترط لهذه الْمَنْــزِلة أن يكُونَ حِفْظُ القُرْآن ابتغَاءَ وجه الله وليس لغرض آخر كنَيْل الحظوة عند الناس ، أو مجادلة العُلَمَاء ، ومَماراة السُّفَهاءِ ، أو التكسُّب من ورائه ، والارتزاق بقراءته ، أو الغُلُوِّ فيه بلَىّ الألفاظ عن معانيها الظاهرة لتأييد مذهب ، أو لتأكيد رأى .. ورسول الله (ﷺ) يقول مُنَبِّهًا :

٣٣ (**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ واعْمَلُوا بِمَا فِيهِ .. وَلاَ تَغْلُوا فِيهِ** [٣] **.. وَلاَ تَجْفُوا عَنْهُ** [٤] **.. وَلاَ تَأْكُلُوا بِهِ .. وَلاَ تَسْتَكْثِرُوا بِهِ**)[٥] ..

---

[١] رواه أحمد باقى مسند المكثرين . [٢] رواه أحمد مسند المكثرين . [٣] الغلو : التشدد ومجاوزة الحد .

[٤] تجفوا عنه : تهجروه . [٥] رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .

كما أن حفظ القرآن دون العمل بما جاء فيه لا يُؤَدِّى إلاّ إلى الهلاك ، إذ يُصبح القرآن حُجَّةً على قارئه وليس حُجَّة له .. والقرآن نَزَل مُبيِّنًا للأحكام ، مُوضحًا للحلال والحرام .. فيه نَبَأ ما قبلنا ، وحُكْم ما بيننا ، وخَبَر ما بعدنا .. مَنْ عمل بما جاء فيه فأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه ، وجعله دُستورًا له فى حياته قَادَه إلى الجنة ، ومَنْ تركه وراء ظهره ، ولم يعمل بما جاء فيه ساقه إلى النار ، إذ إن القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة وهو مُصدَّق فيما يقول : فإن شهد لهم نجوا ، وإن شهد عليهم هلكوا .. وما من شفيع يشفع إلاّ بإذن الله له ، ولمن يشفع فيه .. أما القرآن فهو كلام الله عز وجل .. وكلامه الحق ، وقوله الصدْق ، وحجته البالغة ، لا ينتظر الإذن بالشفاعة ، ولا تُرَدّ شفاعته ، ولا تُغْلَب حُجَّته .. لذا يقول النبى (ﷺ) :

٣٤ **(الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَاحِلٌ [١] مُصَدَّقٌ .. مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ)**[٢] ..

هذا .. وقد نَصَحَ رسول الله (ﷺ) الأُمَّة بحفظ القرآن ، أو حفظ ما تيسَّر منه .. وقد عمل أصحابه بنصيحَته ، فكانت صدورهم أوعية للقُرْآن ، وهم الذين جمعُوه ونقلوه إلى التابعين .. ولا يزال القرآن ينتقل من صدور الْحُفَّاظ إلى صدور الْحُفَّاظ فى كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها .. ومَنْ حفظ القرآن وعمل به كان شفيعًا له يوم القيامة .. ومَنْ لم يستطع فعليه أن يحفظ سورتى : البقرة ، وآل عمران الْمُلَقَّبتين بالزهراوين لنورهما وضيائهما .. فإن لم يستطع فعليه أن يحفظ سورة

---

(١) مَاحِلٌ : خصم مُجَادِل .　　(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

البقرة التى هى سنام القرآن والجامعة للأحكام .. فإنَّ حِفْظَها بركة عظيمة ، وهى حصن حصين لِمَنْ حفظها .. و قد جاءت نصيحة الرسول (ﷺ) الغالية فى قوله :

٣٥ **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ .. اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ : الْبَقَرَةَ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ [١] ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ [٢] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ [٣] ، تُحَاجَّانِ [٤] عَنْ أَصْحَابِهِمَا .. اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ [٥])** [٦] ..

كما أن من أهم الأمور حبَّ آل بيت رسول الله (ﷺ) وتوقيرهم ، ومعرفة قَدْرهم ، وقد أوصى الله عز وجل بمودَّتهم فى كتابه العزيز إذ يقول : (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ)[٧] .. وآل بيته (ﷺ) هم أزواجه ، وذريَّته .. وقد عَلِمْنَا الكثير من أمور ديننا من خلال أمهات المؤمنين ، وما رَوَيْنَه من أحاديث رسول الله (ﷺ) .. كما أن السيدة « فاطمة » (رضى الله عنها) إحدى سيِّدَات نساء العالمين الأربع : « مَرْيَم بنت عِمْران » .. و« آسِيَة بنت مُزَاحِمٍ » امرأة فرعون .. و« خديجة بنت خُوِيلِد » .. و« فاطمة بنت محمد » .. وأولاد « فاطمة »

---

(١) غيايتان : سحابتان . (٢) فرقان : جماعتان أو قطيعان .

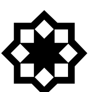
(٣) الصواف : جمع صَافَّة ، وهى الباسطة أجنحتها فى الهواء .

(٤) تحاجان : تدفعان . (٥) البَطَلَة : السَّحَرَة .. والكلمة مأخوذة من الباطل .

(٦) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين . (٧) سورة الشورى آية ٢٣ .

(رضى الله عنها) يُنسبون إلى رسول الله (ﷺ) قبل أن يُنسبوا إلى أبيهم « على بن أبى طالب » (رضي الله عنه) ، وذريَّتهم هم ذريته .. وقد خطب النبى (ﷺ) الناس يومًا خطبة مُوَدِّع فأوصاهم بأمرين : أولهما القرآن ، وثانيهما أهل بيته فقال :

٣٦ (أَمَّا بَعْدُ .. أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِىَ رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّه ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّه ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ) .. فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّه وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ : (وَأَهْلُ بَيْتِى .. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى .. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى .. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى)[1] ..



(1) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة .

أَفْضَلُ الْجِهَاد

٣٧ (أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؟ أَلاَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِى النِّسَاءِ .. أَلاَ إِنَّ بَنِى آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى : مِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا .. وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا .. وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا .. وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا .. أَلاَ إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِى جَوْفِ ابْنِ آدَمَ ، أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ، وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ [1] ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَالأَرْضَ الأَرْضَ .. أَلاَ إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ : مَنْ كَانَ بَطِىءَ الْغَضَبِ ، سَرِيعَ الرِّضَا .. وَشَرَّ الرِّجَالِ : مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ ، بَطِىءَ الرِّضَا .. فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِىءَ الْغَضَبِ بَطِىءَ الْفَىْءِ [2] ، وَسَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَىْءِ ، فَإِنَّهَا بِهَا .. أَلاَ إِنَّ خَيْرَ التُّجَّارِ : مَنْ كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ ، وَشَرَّ التُّجَّارِ : مَنْ كَانَ سَيِّئَ الْقَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ .. فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْقَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ ، أَوْ كَانَ سَيِّئَ

---

(١) الأوداج : العروق المحيطة بالعنق .

(٢) الفيء : الرجوع عن الغضب .

الْقَضَاء حَسَنَ الطَّلَب ، فَإِنَّهَا بِهَا .. أَلاَ إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَة بِقَدْرِ غَدْرَته ، أَلاَ وَأَكْبَرُ الْغَدْرِ : غَدْرُ أَمِيرِ عَامَّة .. أَلاَ لاَ يَمْنَعَنَّ رَجُلاً مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ .. أَلاَ إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ .. أَلاَ إِنَّ مِثْلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ)[1] ..

الحديث يشير إلى أمور فى غاية الأهمية ، فهو يقسِّم الناس إلى أقسام تبعًا لمعادنـــهم .. ويقسِّمهم تبعًا لشهوة الغضب فيهم .. ويقسِّمهم تبعًا لمعاملتهم لغيرهم .. ويحذِّر من فِتنة الدنيا والنساء .. ويبيِّن خطورة الغَدْر .. ثم يختم الحديث ببيان أفضل الجهاد والذى به تنصلح أمور الأمة بصدق النصح للحُكَّام .. وسوف نتناول الحديث بشىء من التفصيل ، فهو حديث مُعْجِز جامع يدل على أن قائله (ﷺ) لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى بل هو وَحْيٌ يُوحَى .. وأول الحديث (**أَمَّا بَعْد**) وهى تعنى أن النبى (ﷺ) قد سبقها بأن حَمَدَ الله عز وجل ، وأثنى عليه بما هو أهله .. وقد كان ذلك فى خطبة له بعد صلاة العصر .. وهو ليس وقت خُطْبة كخُطْبَة الجمعة ، أو العيدين ، أو يوم عَرَفة ، مما يدل على أهمية الموضوعات التى تناولها الحديث وخطورتـــها .. وبدأ (ﷺ) بوصف الدنيا بأنـــها : خضرة حلوة .. فالمال والبنون ونِعَم الدنيا المتعدِّدة التى زُيِّنَتْ للناس مِصْداقًا لقوله عز وجل : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ

[1] رواه أحمد مسند بنى هاشم .

ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ)[1] .. هذه الأمور جعلت الدنيا خَضِرَة فى عُيون الناس الذين غفلوا عن أن الأخضر لا يبقى على خُضْرته فلابد له أن يَيْبَسَ ، وأن الْحُلْوَ لا يبقى على حلاوته فقد تَعْقُبه المرارة .. وأن ما على الأرض من زينة إنما هو فتنة وابتلاء لقول الحق تبارك وتعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)[2] .. لذلك كان التنبيه بأن الإنسان مُسْتخْلَفٌ فى هذه الدنيا مسئول عما استُخْلِفَ فيه .. ومادامت الدنيا استخلافًا فنعيمها إلى زوال ، إذ لو دامت لغيرك ما آلت إليك .. ثم جاء التحذير منها حتى لا يركن الإنسان إليها أو يجعلها أكبر هَمّه أو مَبْلغ علمه .. وخصَّ فتنة النساء بالتحذير بعد ما عمَّمه ، لأنـــها أكبر الفِتَن وأشدُّها خطرًا على الرِّجَال ، فعلى رغم أنَّهن ناقصات عقل ودين إلاَّ أنـــهن يذهبن بِلُبِّ الرجل الحازم إذا لم يتَّقِ الوقوع فى حبائلهن .. وقد كانت أول فِتْنَة بنى إسرائيل فى النساء ، الفتنة التى قادتـــهم إلى المهاوى ، والمهالك ، والوقوع فى سائر الفِتَن والمصائب حتى استحلُّوا أموال الغير ، وحرَّفوا الكتاب ، وقتلوا أنبياءهم : كـــ « زكريا » ، و« يحيى » (عليهما السلام) وهمُّوا بقتل « المسيح » (عليه السلام) صلبًا لولا أن رفعه الله إليه ..

ثم يبيِّن الحديث أن الناس خُلِقُوا على طبقات شتى .. فقد خلق الله آدم من تُرَاب الأرض التى منها النفيس والرخيص ، والطَّيِّب والخبيث ، والحزن والسهل ، والأحمر ، والأسود ، والأبيض : (وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا

[1] سورة آل عمران آية ١٤ .
[2] سورة الكهف آية ٧ .

وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[1] .. (وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا)[2] .. من هنا فإن الناس معادن : منهم من يُولَدُ مؤمنًا ويحيا مؤمنًا ويموت مؤمنًا ، وهؤلاء هم عبيد الإحسان الذين كان حظهم أن خُلِقُوا من أطيب تُراب الأرض فهم السعداء فى الدَّارين .. ومنهم من يُولَدُ كافرًا ويحيا كافرًا ويموت كافرًا ، وهؤلاء الذين خُلِقُوا من أخبثِ تراب الأرض .. ومنهم من يُولَدُ مؤمنًا ويحيا مؤمنًا ويموت كافرًا ، وهؤلاء هم الذين يعملون بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهم من أهل النار لخبث معدنـــهم وسوء طَوِيَّتهم .. ومنهم من يُولَد كافرًا ويحيا كافرًا ويموت مؤمنًا ، وهؤلاء هم الذين يعملون بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهم من أهل الجنة لطيب معدنـــهم ونقاء سَرِيرَتِهم وخلوص نِيَّتهم ، وتلك أمور لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى الحكيم الخبير ، الذى لا تخلو أفعاله عن الحكمة : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ)[3] ..

ثم يشرح الحديث شهوة الغضب وبأنـــها من النار .. وطبيعة النار التــأجُّج والارتفاع ، وعلاجها يكون بالإتيان بفعل عكسى ألا وهو الاتجاه إلى الأرض ، أى لو غضب الإنسان وهو قائم فعليه أن يجلس ، وإن غضب وهو جالس فعليـــه أن يضطجع ، فإن كان مضطجعًا رقد .. وهكذا .. وشهوة الغضب نعمة إذا كانـــت فى حُدُودها المطلوبة : إذ بـــها تُجلَبُ المنافع ، وتُدفَعُ المضار .. أما إذا شابـــــها الإفراط أو التفريط فإنـــها تكون وَبَالاً على صاحبها .. والناس فى غضبهم أربعـــة

---

(1) سورة فاطر آية ٢٧ . (2) سورة الأعراف آية ٥٨ . (3) سورة فصلت آية ٤٦ .

أنواع أو أقسام : فمَنْ كان بطيء الغضب سريع الرِّضا فهو خير الناس ، إذ تخلَّق بالحلم والسماحة ، ومَنْ كان سريع الغضب بطيء الرِّضا فهو شر الناس ، إذ يَسْهُل إغضابه ويَصْعُب إرضاؤه فهو شرس غليظ أسود القلب .. ومَنْ كان سريع الغضب سريع الرِّضا ، أو بطيء الغضب بطيء الرِّضا فهذه بتلك ، أى تعوِّض سرعة رضاه سرعة غضبه ، أو يمحو عَيْبَ بُطْءِ الرِّضا بُطْءُ الغضب فهذا لا له ولا عليه ، ولكنه على خطر ..

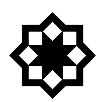
وينتقل الحديث إلى نوع من المعاملات بين الناس هو أهم أنواعها ألا وهو التبايع .. ويُقسِّم الحديثُ الناسَ فى هذا الشأن أيضًا إلى أربعة أقسام : فخير التُّجَّار مَنْ كان حسن القضاء حسن الطلب ، أى : يؤدِّى ما عليه دون مماطلة ، ويُطَالِب بحقِّه فى أَدَب ، ودون إلحاح ، أو إرهاق ، أو عدم تقدير للظروف .. وشر التُّجَّار مَنْ كان سَيِّئَ القضاء سيِّئَ الطلَب .. يُماطل فى أداء ما عليه ويُلِحُّ فى طلب ما له .. أما إذا كان حسن القضاء سيِّئ الطلَب ، أو كان سيئ القضاء حسن الطلَب ، فقد عوَّضَت الصِّفَةُ الطيِّبة الصِّفَةَ السيِّئةَ ، وعادلتها ، فهو وسط بين خير التُّجَّار وبين شَرِّ التُّجَّار ، ولكنه على خطر ، فقد تميل به أهواؤه فيصبح فى عداد شَرِّ التُّجَّار .. ثم ينبِّه الحديث إلى خطورة الغدر - وهو ضد الوفاء - إذ يفضح صاحبه يوم القيامة على رءوس الخلائق بأن تُرفع له راية على مقدار غَدْرَته .. والغَدْر من صفات المنافقين .. وأكبر الغَدْرِ غَدْرُ أمير عامة .. ذلك الذى استأمنه الناس على مصالحهم فخان الأمانة : كقائد جيش يسلم جنوده لِلأَعْدَاء .. وكمُستَأْمَن على أسرار الدولة فيفشيها .. وكحاكم يسلب أموال الدولة ويهرِّبها إلى الخارج ويودعها باسمه ، أو

بأسماء أسرته فى مصارف خارجية وحسابات سرِّية .. وكممثِّلى الشعب فى المجالس النيابِيَّة الذين لا هَمَّ لهم إِلاَّ قضاء مصالحهم الشخصيَّة ، والاستفادة من حصانتهم .. وكرؤساء النقابات وما إلى ذلك من مناصب يكون الإنسان فيها مسئولاً عن الناس ، أو مُسْتَأْمَنًا على مصالحهم ، أو معهودًا إليه بشئونــــهم .. فيخون الأمانة ، وينقض العهد ، ويخل بالوعد ..

ويختتم النبى (ﷺ) حديثه فى هذه الْخُطبة الفَذَّة الجامعة بوصف العلاج الناجع ، والدَّواء لكل الأدواء ، ألاَ وهو قول الحق مهما كانت الظروف أو الأحوال ، وألاَّ يمتنع مَنْ يعلم الحق عن التكلُّم به مهما كانت النتائج ، فالحق يعلو ولا يُعْلَى عليه .. والساكت عن الحق شيطان أخرس .. وعلى مَنْ يعلم الحق أن يقول ما يَجِبُ أن يُقَالَ لا ما يُحِبُّ أن يسمعه الناس ، وهذا هو الجهاد بالقول ومقاومة المنكر باللسان ..

وأفضل الجهاد كَلِمَة حق عند سلطان جائر .. إذ إن جَوْرَ الحكام من أخطر الأمور على الأمَّة : فهو يؤدى إلى انتشار النفاق ، والْجُبْن ، والخنوع ، وضياع الحقوق ، وإحساس الرعيَّة بعدم الانتماء إلى بلدهم .. فتنهار الأمَّة من داخلها ..

ويبيِّن الصادق المصدوق (ﷺ) أن ما بقى من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها مثل ما بقى من صلاة العَصْر – التى كانت خُطْبته (ﷺ) بعدها – إلى صلاة المغرب بالنسبة إلى ما مضى من صلاة الفجر إلى صلاة العصر ..



٣٨ **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْنِى الْمُؤْمِنَ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، وَيَقُولُ لَهُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ .. أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ .. أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ .. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ ، قَالَ : فَإِنِّى قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا ، وَإِنِّى أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ .. ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ .. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ : هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)**[1] ..

مَنْ أَجَلِّ نِعَم الله تعالى على عبده المؤمن نِعْمَة السَّتْر .. فما من عبد – مهما كان صلاحه – إلاّ وله أخطاء وزلاَّت ، فكل ابن آدم خطَّاء ، وخير الخطَّائين التوَّابون ، وستر الله لعبده المؤمن فى الدنيا علامة على ستره فى الآخرة .. والحديث يوضِّح لنا ذلك وهو يُشير فى مضمونه إلى وجوب الاستتار بستر الله .. فلا يصِحُّ لِمَنْ أذنبَ وسَتَرَه الله أن يُصْبح فيحدِّث الناس بمعصيته كاشفًا لستر الله عليه .. كما أن الحديث على رغم ما فيه من بُشْرى للمُؤْمِن إلاّ أنه دعوة للحياء من الله عز وجل ، إذ لو تخيَّل الإنسان ذنوبه وأعماله القبيحة التى لو اطلع عليها الناس لَلَفَظُوه

[1] رواه أحمد والبخارى وابن ماجه .. واللفظ لأحمد ، مسند بنى هاشم .. وفى رواية ابن ماجه (ثُمَّ يُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ – أَوْ كِتَابَهُ – بِيَمِينِهِ) ..

من مجتمعهم ، ولَتَجَنَّبوه ، واحتقرُوه ، لو تخيّل ذلك لاستحيا ولخشيَ أن يواجه بــــها الخالق سبحانه وتعالى ، الذى سيذكّره بــــها ، ويقررّه ، وقد نسيها هو و لم يغفل عنها العليم الخبير .. فالبِرُّ لا يَبْلَى ، والذنب لا يُنْسَى ، والديَّان لا يموت .. فعَلَى المؤمن أن يتنبَّه لمضمون الحديث فَيُقْلِع عن ذنوبه التى يستحي أن يواجه بــــها الناس فضلاً عن أن يواجه بــــها الله .. وعليه أن يداوم على الاستغفار والندم حتى تُمْحَى هذه السيئات من صحائفه قبل أن يُفاجئه الموت .. كما أن يوم القيامة فيه من الفَزَع والْهَلَع ما لا يمكن وصفه ، فإذا أضيف إلى ذلك تعديد ذنوبه ومعاصيه بين يدى الجبار ، ومواجهته بــــها حتى يتيقَّن من الهلاك .. كان الموقف أخطر وأفظع من أن يُحْتَمل .. نعم يأتيه الاطمئنان بعد ذلك بأن يُعْطَى كتابَ حسناته بيمينه إلاّ أن هول الموقف يستدعى التنبُّهَ واليقظة وعدم الغَفْلَة .. فكلَّما حدثَتْه نَفْسُه بمعصية تذكَّر عتاب الله له ، ووقوفه بين يديه ، وعَرْض ذنوبه عليه ، فيمتنع عن الوقوع فى الصغائر قبل الكبائر ..

أما الذين استتروا فى الدنيا عن الناس بنفاقهم ، وبأثواب الزور ، فهؤلاء يُفْضَحون يوم القيامة على رءوس الخلائق والعياذ بالله .. وتشهد عليهم الكَتَبَة ، والحفَظَة .. بل وتشهد عليهم جوارحهم بما ارتكبوه فتكون الفضيحة الكبرى التى تعقبها اللعنة وهى الطرد من رحمة الله عز وجل ..

وأما الكافر فَيَوَدُّ يومئذ لو يفتدى نَفْسَه بأمه وأبيه ، وصاحبته وبَنيه ، ومَنْ فى الأرض جميعًا ثم يُنْجِيه ، بل لو كان له ما فى الأرض جميعًا ومِثْلَه معه لافْتَدَى به من عذاب يوم القيامة .. ويبين النبى (ﷺ) موقف الكافر فيقول :

٣٩ (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَىْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدى به ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ .. فَيَقُولُ : أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِى صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِى شَيْئًا ، فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ بِى)[١] ..

فإذا كان هذا موقف أَهْوَن أهل النار عذابًا فكيف يكون موقف أشدِّهم عذابًا ؟! ويبيِّن الحديث أن الله يذكِّر هذا الإنسان بموقف قد نَسِيَه : ألا وهو موقف الإقْرَار فى عالَم الذَّرِّ الذى يُشير إليه الحق تبارك وتعالى فى القرآن : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ)[٢] ..

وهكذا يتَّضِح أن كَلِمَة التوحيد هى حَبْلُ النجاة .. من أجلها خُلِقَت السموات والأرض ، ومن أجلها أُرْسِلَت الرُّسُل ، وأُنْـــزِلت الكُتُب .. وقد اقتضت رحمة المولى عز وجل أن لا يُخَلَّد فى النار موحِّد .. فهو سبحانه القائل : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ)[٣] ..

وكل مَنْ مات لا يُشرك بالله شيئًا فهو بين أمرين : إما أن تُغْفَر له ذنوبُه وتزيد حسناته على سيئاته ، وإما أن يدخل النار استيفاءً للحقوق ثم تتداركه الرحمة فيخرج

---

[١] رواه البخارى كتاب الرقاق . [٢] سورة الأعراف الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ . [٣] سورة النساء آية ٤٨ .

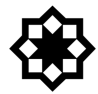
منها ويدخل الجنة ، ولكنه لا يُخَلَّد فى النار أبدًا .. ذلك بشرط أن تكون كلمة التوحيد إقرارًا باللسان ، واعتقادًا بالْجَنَان ، وأن يموت عليها ، إذ قد يُفْتَن عند الموت ولا ينطق بـــها ، لأن التثبيت من الله تبارك وتعالى القائل : (يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ)(1) .. وعليه فلا يجب أن يَغْتَرَّ المسلم بإسلامه دون أن يعمل به ، فقد يُسْتَدْرَج من حيث لا يَعْلَم .. وقد خرج أناس من الدنيا ولا حَسَنَةَ لهم يقولون : نُحْسِن الظن بالله .. وقد كذبوا .. فلو أَحْسَنوا الظن لأَحْسَنوا العمل ..

ويُبشِّر نبيُّنا (ﷺ) الموحِّدين الذين ماتوا على كلمة التوحيد فكانت آخر ما نطقوا به فيقول :

٤٠ (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِى عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَة فَيَنْشُرُ عَلَيْه تسعَةً وَتسْعِينَ سجلاًّ ، كُلُّ سجلٍّ مثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ .. ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكرُ منْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتى الْحَافظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ .. فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ .. فَيَقُولُ : بَلَى ، إِنَّ لَكَ عنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ .. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .. فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا هَذه الْبِطَاقَةُ

(1) سورة إبراهيم آية ٢٧ .

مَعَ هَذه السِّجلاَّت ؟! فَقَالَ : إِنَّكَ لاَ تُظْلَم .. فَتُوضَعُ السِّجلاَّتُ فِى كفَّة ، وَالْبِطَاقَةُ فِى كَفَّة ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَىْءٌ)[1]..



(1) رواه الترمذى كتاب الإيمان .

٤١ **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ .. يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ .. يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي .. قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِه ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)** [(١)] ..

الحديث يُبَيِّن أعمالاً قد لا يُلْقى إليها الإنسان بالاً ، ولكنها مَحلُّ سُؤال .. يُرْفَع مَنْ أتى بـــها درجات عند رَبِّ العالَمين ، ويُعاتَب مَنْ قصّرَ فيها فيندم ، فالدِّين ليس مُجَّرد عِبادات فقط .. **إذ إن العِبَادات وسائل ، وليست غايات** ، فهي أمور الهدف منها : إصلاح الْخُلُق ، وتوجيه السلوك ، ونشر المعروف بين الناس .. فإذا قام الإنسان بأداء العبادات من : صلاة ، وصوم ، وزكاة ، و حج ، وبقى على

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

أخلاق الجاهلية من : توحُّش ، وأنانيَّة ، كانت عبادته شكلاً بلا مضمون ، كشجرة بلا ثمار أو ظِلال .. فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فمَنْ لم تَنْهَهُ صلاته فلا صلاة له .. وقد أثنى ربُّنا تبارك وتعالى على حبيبه المصطفى (ﷺ) بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [1] .. ولم يذكر صلاته ، أو صيامه ، فقد بُعِثَ (ﷺ) لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق .. وأفضل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا .. الذى يسود المعروف فى تعامله مع الناس فينتفع منهم وينتفعون منه .. والتوادُد والتراحُم بين المسلمين من أهداف الإسلام إن لم يكن هو الهدف الأعظم والأكبر ، فمَن كان له فضل مال عاد به على مَن لا مال له ، ومَنْ كان له فضل زاد عاد به على مَن لا زاد له .. وهكذا .. وإن كان الحديث يبيِّن أن القاعدين عن بذل المعروف لإخوانهم مُعَاتَبون مُؤَاخَذُون يوم القيامة حيث لا ينفع الندم .. إلاّ أنه فى الوقت نفسه يُبَشِّرُ المريض الصابر ، وكأن الله تبارك وتعالى يقول له : إذا لم يَزُرْكَ أحد من الناس فلا تحزن ، فأنا معك برِعَايتى ، وعِنَايَتِى أُكَفِّرُ عنك خطاياك ببَعْض الأَلَم ، وأُبْدِلُك لحمًا خيرًا من لحمِك ، ودمًا خيرًا منْ دَمِكَ .. والحديث أيضًا بُشْرَى للفقير الذى يستطعم الناس فلا يطعمونه .. وكأن الله تبارك وتعالى يقول له : ما أحوجتُك إليهم لِهَوَانٍ لك عِنْدى ، ولكنى جعلتُك فِتْنَةً لهم وابتلاء ، فمَنْ أطعمَكَ وَجَدَ ذلك عِندِى ، ومَنْ لم يُطْعِمْك أوقفته للسؤال بين يدى ، حيث لا يَسْأَل حَمِيمٌ حَمِيمًا ..

---

[1] سورة القلم آية ٤ .

وهكذا نجد أن الحديث ضرب أمثلة بالمرض والجوع والعَطَش لكل ما يمكن أن يُؤَدَّى من معروف .. فهو دعوة عامة لكل مَنْ يستطيع أن يبذُل عونًا ماديًّا أو مَعْنَوِيًّا لأخيه المسلم أن يفعل ولا يَغْفل .. لذلك يبيِّن النبى (ﷺ) أمثلة عديدة للمعروف داعيًا إليها بقوله :

٤٢ (**تَبَسُّمُكَ فِى وَجْهِ أَخِيكَ : لَكَ صَدَقَةٌ .. وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ : صَدَقَةٌ .. وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِى أَرْضِ الضَّلَالِ : لَكَ صَدَقَةٌ .. وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِىءِ الْبَصَرِ : لَكَ صَدَقَةٌ .. وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ : لَكَ صَدَقَةٌ .. وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِى دَلْوِ أَخِيكَ : لَكَ صَدَقَةٌ**)[١] ..

وهكذا نجد أن الله تبارك وتعالى يُثِيبُ على أعمال كثيرة قد يستصغرها الإنسان ، وصدق « عبد الله بن عُمَر » (رضى الله عنهما) إذ يقول : (**الْبِرُّ شَىْءٌ هَيِّنٌ : وَجْهٌ طَلِيقٌ .. وكلام لَيِّنٌ**) .. والْمُتَأمِّل فى كلمات الحديث يجد أن الأعمال المذكورة كلها ما هى إلاّ صنائع معروف تُورِث الْمَوَدَّة ، والأُلْفَةَ بينَ الناس ، فالإثابة على مجرد التبسُّم فى وجه المسلم الذى عبَّر عنه الحديث بكلمة (أخيك) تشعر بما يجب على المسلم نحو المسلم .. وكلها أمور لا مَشَقَّةَ فى الإتيان بها : فالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، بلطفٍ ورقة ، لا بالاستعلاء والتعدِّى والإيذاءِ ، وكذلك إرشادُ من ضلَّ طريقه ، وإعانة ضعيف البصر لمعرفة طريقه ،

---

[١] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

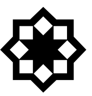
وإزالةُ ما يؤذى الناسَ فى طريقهم – أيًّا كان هذا الأذى – صدقة لأنه يعبر عن الاهتمام بمصالح الآخرين والحرصِ على ما ينفعهم .. وعبارة (إِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِى دَلْوِ أَخِيكَ) تشمل الماءِ الزائد عن حاجتك ، وكل ما يحتاجه الآخرون وعندك منه ما يزيد على حاجتك .. فالإسلام : تكافُلٌ ، وتَرَاحُم ، وتوادُدٌ ، وبذل للمعروف وما ينفع الآخرين ، وليس عبادات شكلية لا روح فيها ولا حياة .. وإذا كانت هذه الأعمال الدَّالة على الرحمة والحنان تُرضى الله تبارك وتعالى فلا شك أن ضدها يُغضِب الله .. كإلقاء القاذورات فى طريق الناس ، وإمساك ما ينفعهم مما أعطاك الله .. والسكوت عن نصحهم ، وعدم الاهتمام بشأنـــهم ، وما يصلحهم ، وقصر الاهتمام على الذات ، وكل ما من شأنه أن يفرِّق الجماعة ، ويشتِّت الشَّمل ، ويُورث كلمة (**نَفْسِى ثُمَّ نَفْسِى**) .. فإنه إذا حدث ذلك رُفِعَت البَرَكة ، وزالت الأمانة ، وحلَّ التباغض والتَّدابر والتَّباعد ، وبدأت الفِتَنُ التى لا قِبَل للأُمَّة بـــها ، والتى حَذَّرَ النبى (ﷺ) منها بقوله :

٤٣ **(بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ)**[1] ..

ولا شك أن مَنْ قدَّم المعروف يُنْجِيه الله من هذه الفِتَن ، ويجعل له مخرجًا ، ويرزقه بصيرة يُمَيِّز بـــها بين الحق والباطل ، وبين الصواب والخطإ فى هذه الفِتَن

[1] رواه أحمد ومسلم .. واللفظ لأحمد باقى مسند المكثرين .

التى تُشْبِهُ الليل الدامس الظلام ، الذى لا يعرف الإنسان فيه طريقه ، ولا يدرى أين يَتَّجه ! .. وهكذا الفِتَن المذكورة يقع فيها الإنسان ، وتُحيط به ، فلا يدرى أىّ السُّبُل يسلك .. فعلى رغم أنه يُصبِح مؤمنًا إلاَّ أنه يُمْسِى كافرًا !! أو يُمْسِى مُؤْمِنًا ثم يصبح كافِرًا ، يبيع دينه بعَرَضٍ مِنَ الدنيا قليل .. وذاك يعنى أنه قد فقد التمييز تمامًا ، ولم يجد مَنْ يهديه أو يُرشده إلى طريق السلامة .. والْمَخْرَج الوحيد هو الأعمال الصالحة وبذل المعروف .. فإن صنائع المعروف تقى مصارع السوء .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول : (هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ)[1] .. ويقول : (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)[2] ..



(1) سورة الرحمن آية ٦٠ .

(2) سورة الطلاق الآيتان ٢ ، ٣ .

كَلِمَةٌ وكَلِمَة

٤٤ **(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**[(١)] ..

يُبَيِّن الحديث خطورة الكلام .. والكلمة قد تكون شديدة الصغر ، لا تزيد عن حرفين أو ثلاثة ، ككلمة (لا) مثلاً ، أو كلمة (أفٍّ) التى نَهَى الله تبارك وتعالى عن قولها للأبوين .. ومع ذلك فقد ينطق الإنسان بكلمة واحدة تُدخِله فى رضوان الله تبارك وتعالى إلى الأبد .. وقد يتكلم بكلمة واحدة فيقع فى دائرة السخط إلى الأبد .. وهذا يدل على خطورة اللسان ، ذلك العضو الصغير حجمه ، العظيم جرمه الذى لا يجد الإنسان مَشَقَّة فى تحريكه ، ولا مُؤْنة فى إطلاقه .. والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجد الكثير من كلمات (**قُل**) .. (**قَالَ**) .. (**قَالُوا**) .. (**يَقُولُونَ**) .. (**قِيل**) .. ويجد أن عصمة الدِّماء والأموال بكلمة ، ألا وهى : كلمة التوحيد .. ويجد أن توبة الله على « آدم » (عليه السلام) كانت بسبب كلمات تلقَّاها من الله فنطق بها : (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)[(٢)] .. ويجد أن اللعنة قد حاقت

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه .. واللفظ لأحمد مسند المكيين .

(٢) سورة البقرة آية ٣٧ .

بإبليس بسبب كلمات نطق بـــها : (قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)[١] .. ويجد رضوان الله قد حلَّ على المؤمنين بقولهم : (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ)[٢] .. ويجد أن اللعنة حاقت باليهود الذين حكى القرآن قولهم : (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)[٣] .. والذين أمرهم الله بقوله : (وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ)[٤] فبدَّلوا بـــهذه الكلمة كلمة أخرى كما حكى القرآن عنهم : (فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ)[٥] .. ويجد كذلك قومًا حكى القرآن قولهم : (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ)[٦] .. فكان نتيجة هذه المقالة أن قال الله تبارك وتعالى فى شأنـــهم : (فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا)[٧] ..

وكما أن الكلمة فى شأن العقيدة ، وطاعة الله ورسوله لها هذا الشأن الخطير ، فكذلك الكلمات التى لا يلقى الإنسان إليها بالاً فى مسائل الدنيا : كالغِيبة ، والنميمة ، والوِشاية ، والسخرية ، والاستهزاء .. والنكات الخارجة عن حدود الأدب واللياقة .. وكل مستمع لهذا الكلام واقع فى الخطيئة شريك فى الإثم .. والله تبارك وتعالى يقول : (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا

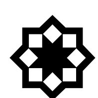
(١) سورة الحجر آية ٣٣ . (٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ . (٣) سورة البقرة آية ٩٣ .
(٤) سورة البقرة آية ٥٨ . (٥) سورة البقرة آية ٥٩ . (٦) سورة المائدة آية ٨٤ .
(٧) سورة المائدة آية ٨٥ .

﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[1] ..

وبالمقابل كل كلمة تُقال فتكون سببًا فى الإصلاح بين الناس ، والتوفيق بينهم .. أو سببًا فى رفع ظلم عن إنسان ضعيف .. أو سببًا فى هداية إنسان إلى طريق الرشاد .. أو تكون نصيحة صادقة ، ومشورة نافعة .. قد تَرفع هذه الكلمة صاحبَها درجات ودرجات .. وربُّنا تبارك وتعالى يقول : ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] ..

وهكذا نتبيَّن خطورة اللسان وما ينطق به من كلمات قد تكون سببًا فى السعادة الأبدية ، أو الشقاوة والعياذ بالله .. ويؤكد الصادق المصدوق (ﷺ) على أهمية اختيار الكلمات بحديث آخر يقول فيه :

٤٥ **(إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ .. وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)**[3] ..



(1) سورة النساء آية ١٤٠ . (2) سورة النساء آية ١١٤ . (3) رواه البخارى كتاب الرقاق .

٤٦ (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ نُطْفَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ ، وَأَجَلُهُ ، وَرِزْقُهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ .. فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ)[1] ..

هذا الحديث الجامع من دلائل نبوة سيدنا محمد (ﷺ) .. فقد وصف مراحل تطور الجنين بما أثبته علم الأجِنَّة حديثًا .. والنطفة : هى ماء الرجل (الْمَنِىّ) الذى يقذفه فى رحم المرأة .. والعلقة : من العلق ، وهو نوع من أنواع الدُّود الذى يعيش فى الماءِ ، يتعلق ويلتصق بغيره من الأحياءِ المائية الكبيرة ، ويعيش على ما يمتصه من دمائها .. والعلقة تتعلق بجدار الرحم ، وتتغذى على ما تمتصه من دم حتى تتحول إلى مُضْغة ، وهى قطعة لَحْمٍ مقدارَ ما يُمضغ .. وذلك كله هو أبلغ وصف وأصدقه

[1] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء دون ذكر كلمة (نطفة) ، وذكرها الحافظ ابن حَجَر فى فتح البارى ، كما ذكرها الإمام النووى فى الأربعين النووية ..

لشكل الجنين فى هذه المراحل .. فإن قَدَّر الله لهذه المضغة أن يتم خلقها أَمَرَ مَلَكَ الأرحام ، فكتب أربعة أمور هى كل ما يتعلق بالإنسان فى دنياه وأخراه : العمل ، والرزق ، والأجل ، وشقى أو سعيد .. ثم ينفخ فيها الروح ..

وعليه فإن الأجل مقدَّر بأنفاس معدودة فى أماكن محدودة .. لا يتقدم ولا يتأخر ، مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)[1] .. وكذلك الرزق فإنه مقسوم مُقَدَّر ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتوقف على ذكاء الإنسان أو مجهوده .. فكم من عامل محرُوم ، وكم من خامل مرزُوق .. فإن رضى الإنسان بما قسمه الله له من رزق أراح بدنه وعقله ، وكان عند الله محمودًا ، وإن لم يرض بما قسمه الله له من الرزق أتعب بدنه وعقله ، وكان عند الله مذمومًا ، وركض فى الدنيا ركض الوحش فى الفلاة .. ولا يصيب منها إلاّ ما كتبه الله له ..

والإنسان مُخيَّر فى الحصول على ما قُسِمَ له من رزق عن طريق مشروع أو عن طريق غير مشروع .. فمن عَفَّ عن الحرام أتاه رزقه عن طريقٍ حلال ، ومن ابتغى الرزق من طريق حرام لن ينال إلاّ ما كُتِب له أصلاً دون زيادة ، فلو فَرَّ الإنسان من الرزق فراره من الأسد لأدركه رزقه حتى يدخل فى فِيهِ .. ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ، ومَنْ يعتقدون أنـــهم يحصلون على الأموال بذكائهم الخارق ، أو بمجهودهم واهمون .. والذين يبتغون الرزق بالسلب ، والنهب ، والغش ، والخيانة ،

---

[1] سورة الأعراف آية ٣٤ .

لا يحصلون إلاّ على ما كُتب وقُسم لهم .. ولو امتنعوا عن ذلك لأتاهم المقدار نفسه من المال دون نقص أو زيادة ولكن من طريق مُبَاح ..

وأما العمل الذى يكتبه الْمَلَك على الإنسان وهو مُضْغَة فى رَحِم أمِّه .. فكتابته كتابة عِلْم ، لا كتابة جَبْر ، إذ لو كان عمل الإنسان مفروضًا عليه أو كان هو مجبرًا على الإتيان به لبطل الاختيار ، ولانتفى الحساب .. وإنما يكتب الْمَلَكُ ما يعلمه الله عن عمل هذا الإنسان فى المستقبل ، **فعِلْم الله سبحانه وتعالى لا يتجدد بالحوادث ، ولا يزيد ، ولا ينقص .. بل علمه قديم أزلى : يعلم ما كان ، وما يكون ، وما هو كائن إلى الأبد** .. ولو حاسب الله الخلق بعلْمِهِ فيهم لدخل أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهل النارِ النارَ دون حاجة إلى خلق الدنيا وما فيها ، ولكن الله يحاسب الناس على أعمالهم ، وخَلَقَ الدنيا لامتحانـــهم واختبارهم ، لتكون حجَّتُه عليهم بالغة .. فتأتى أعمالهم وفق علم الله تعالى الأزلى فيهم .. فهم مُخَيَّرون مختارون وليسوا مجبورين .. وتتحدد السعادة أو الشقاوة وفق أعمالهم التى سوف يعملونـــها فى دنياهم ، ولذلك كتب الْمَلَك ضمن ما كتب : شقى أو سعيد .. وما كتبه الْمَلَك لا يعلمه إلا الله .. فإذا خرج الإنسان إلى الحياة ثم أصبح مكلَّفًا ، بدأ الْحَفَظَة يحصون عليه أقواله ، وأعماله ، وحركاته ، وسكناته : (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)(١) .. وهؤلاء الْحَفَظَة يكتبون ويسطرون الواقع دون علم بما كتبه مَلَكُ الأرحام أو تأثُّرٍ به .. فيتفق ما يسطره الْحَفَظَة مع ما سطره مَلَكُ الأرحام ، لأن علم الله تبارك

(١) سورة ق آية ١٨ .

وتعالى لا يتطرق إليه : خلل ، ولا خطأ ، ولا زيادة ، ولا نقصان .. والعبرة بخواتيم الأعمال ، فقد يعمل الإنسان بعمل أهل الجنة طوال حياته ثم يعمل بعمل أهل النار قبل مماته ، والعكس صحيح .. وهذا معنى قوله (**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ**) ، أى أن عمله الفعلى يتفق مع ما قد سطره مَلَكُ الأرحام والذى لا يعلمه إلاّ الله .. وهذ المعنى يتضح من قول النبى (ﷺ) فى حديث آخر :

٤٧ (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّة – فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ – وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ – فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ – وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة**)[1] ..

وجملة (**فيما يَبْدُو لِلنَّاس**) توضح أن ظاهر الأعمال شيء ، والدافع إليها قد يكون شيئًا آخر .. لذا كان الحساب على النية ، ولكل امرئ ما نوى .. والنية محلها القلب ، ولا يَطَّلِع عليها إلاّ الله .. فهى سِرٌّ بين العبد وربه ، لا يستطيع مَلَكٌ أن يَطَّلِع عليها فيكتبها ، ولا شيطان فيفسدها .. والنية هى اختيار العبد المطلق الذى لا سلطان لأحد عليه فيه .. والْحَفَظَة الكَتَبَة لا يسطرون إلاّ ظاهر الأعمال دون علم أو اطِّلاع على نية العبد فى هذه الأعمال .. والإنسان مهما خدع الناس بأعمال صالحة فى ظاهرها فلن يخدع العليم الخبير الذى لا تفوته فلتة خاطر ولا لفتة ناظر : (يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ)[2] .. وقد يُسْتَدْرَج العبد المخادع من حيث لا يَعْلَم أو يتوقَّع ، فيقع فى المعصية قبل أن يموت ، ولا يتمكَّن من التوبة .. كما قد

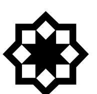
---

[1] رواه البخارى كتاب الجهاد والسِّيَر .
[2] سورة غافر آية ١٩ .

يُلْهَم العبد الطيب العمل الصالح قبل أن يأتيه الموت ، فيعمل بعمل أهل الجنة بصدق نِيَّة ، ويقلع عن الأعمال السيئة التى ربما أتى بـــها نتيجة جهله أو جهالته ، وذلك مما يؤكده قول النبى (ﷺ) :

٤٨ **(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّة ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّة)**[١] ..

ونخلص من ذلك إلى أنه يجب ألا يطمئن الإنسان إلى عمله ، فإنه لا يدرى ما يُختم به عمله .. ولا يعترض على غيره ، فربما يُختم له بما لا يتوقعه إنسان .. فكم من عاصٍ تاب ، فتاب الله عليه .. وكم من طائع فى ظاهر الأمر ونِيَّته فاسدة ، أو انطوى قلبه على الغش ، والخديعة .. أو بطل وحبط عمله بسبب ما احتواه قلبه من : حِقْد ، أو غِلٍّ ، أو حَسَد ، أو غُرور ، أو بما وقع فيه لسانه من غِيبَة ، ونميمة ، وإفساد بين الناس .. والله يعلم وأنتم لا تعلمون ..



[١] رواه مسلم كتاب القدر .

الْحُبُّ فِى اللهِ

٤٩ (**إنَّ للَّه جُلَسَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَة ، عَنْ يَمين الْعَرْش – وَكلْتَا يَدَيْ اللَّه يَمينٌ – عَلَى مَنَابرَ منْ نُورٍ ، وُجُوهُهُمْ منْ نُورٍ ، لَيْسُوا بأَنْبيَاءَ ، وَلاَ شُهَدَاءَ ، وَلاَ صدِّيقينَ**) .. **قيلَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ :** (**الْمُتَحَابُّونَ بجَلاَل اللَّه تَعَالَى**)[1] ..

الحديث يتكلَّم عن مقام لا يُدانيه مقام .. وهو أعلى مقام يوم القيامة .. أىُّ جاه هذا ، وأىُّ شرف هذا : أن يجلس الإنسان عن يمين مَلِكِ الْمُلُوك ليس فى يوم احتفال أو يوم فرح ، وإنما فى يوم خوف وفَزَع .. يوم فضيحة وخِزْى وعار .. فى يومٍ : النَّاجى فيه ناج إلى الأبد ، والهالك فيه هالك إلى الأبد .. وأول جملة فى الحديث يهتز لها القلب ، ويحتار فيها العقل .. فذلك يومٌ توضع فيه الأنساب .. ولا يسألُ فيه حميمٌ حميمًا .. ولكل امرئ فيه شأن يُغْنِيه .. وهؤلاء الجلساء عن يمين العرش .. واليمين : من اليُمْنِ والبركة .. والله تبارك وتعالى مُنَزَّه عن الاختصاص بالجهات ، ولذلك قيل : (**وكلتا يَدَى الله يمين**) .. فكأن الجلساء فى مكانة واحدة ، ودرجة واحدة من عُلُوِّ المنـــزلة .. وهم (**عَلَى مَنَابرَ منْ نُورٍ**) أى مكان عال مرتفع ، يراهم أهل الموقف جميعًا .. وجوههم مضيئة بنور لا يُدَانيه نور ، ولا يمكن أن يُوصَف .. وأول ما يطرأ على الذهن أن هذه المكانة الرفيعة لابد أن تكون

---

[1] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .

للأنبياء والصِّدِّيقين والشهداء .. ولكن النبى (ﷺ) ينفى هذا ، مما دفع الصحابة إلى السُّؤال عن هؤلاء الذين نالوا هذه الحظوة ، والمكانة التى تفوق الخيال .. فإذا به (ﷺ) يخبرهم بأنـــهم : (**الْمُتَحَابُّون بِجَلالِ الله**) .. وقد يتساءل الإنسان عن حساب هؤلاء : كيف يكون ؟ وعن هذه المكانة : إلى إىّ مدى تبلغ ؟ فيجيب النبى (ﷺ) عن هذه التساؤلات بقوله فى حديث آخر :

٥٠ (**إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يُجْلِسُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، وَيَغْشَى وُجُوهَهُمُ النُّورُ ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلاَئِقِ**)[1] ..

ومعنى ذلك أن الجالسين على منابر النور آمنون من الحساب فى يوم طوله خمسون ألف سنة .. الناس كُلُّهم فى وَجَل ، وفَزَع .. يغمُرُهم العَرَق .. فمنهم غارق إلى كَعْبَيْه ، وغارق إلى رُكْبتيْه ، وغارق إلى كتفيه ، وهكذا .. لا يدرى أيُعطى كتابه بيمينه أم بشماله ، أم من وراء ظهره ؟! أو ترجح كفة الحسنات ، أم كفة السيئات ؟! كل ذلك وهؤلاء فى مقام الأمن مستظلون بظل العرش ، حيث لا ظل فى ذلك اليوم إلاّ ظل العرش ، وحيث تقترب الشمس من الرءوس ، ويتمنى الخلائق لو ينصرفون من هذا الموقف ولو إلى النار .. ويؤكد ذلك قول النبى (ﷺ) :

٥١ (**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**)[2] ..

---

[1] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى أُمَامة .

[2] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

لذلك فإن هؤلاء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة ، أى يتمنون لو كان لهم هذا المقام .. فأى مكانة هذه ؟ وأى مقام هذا الذى يتمناه الأنبياء والشهداء ؟ .. ذلك المقام قد ناله المتحابون بنور الله وجلاله على غير أرحام بينهم ولا أنساب .. فقد كان حبهم خالصًا لوجه الله الكريم دون غَرَض ، أو مصلحة ، أو حاجة ، أو قرابة ، أو نَسَب ، أو انتظار نفع ، أو خوف ضُرٍّ .. أىُّ حُبٍّ هذا الذى يُوصَف بأنه حُبٌّ بجلال الله ؟! ويُوصَف بأنه حُبٌّ بنور الله ؟! ذلك الْحُبُّ الذى يجعل صاحبه لا يخاف إذا خاف الناس ، ولا يحزن إذا حزن الناس .. والذى يؤكده النبى (ﷺ) فى حديث آخر يقول فيه :

٥٢ **(إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى) .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟ .. قَالَ : (هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ ، عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ) .. وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[1] ..**

ويتضح من هذا الحديث أن هؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم

[1] سورة يونس آية ٦٢ .. والحديث رواه أبو داود كتاب البيوع .

يحزنون .. الذين تولاَّهم الله برعايته ، وعنايته ، وهدايته ، وتوفيقه .. فقد كان الله هو مقصدهم الأسمى ، وغايتهم العظمى فى كل ما يأتون ويذرون .. فأحبوا فى الله ، وبالله ، ولله ، فأحبَّهم الله تبارك وتعالى ، لنقاء سرائرهم ، وخلوص نيَّاتِهم ، وطهارة قلوبِهم من : الغش ، والحقد ، والحسد ، والغل ، والكراهية .. يتناصحون فى الله ، ويجتمعون فى الله ، ويتباذلون فى الله ، ويتزاورون فى الله .. تلك المعانى الراقية التى يؤكدها قول النبى (ﷺ) :

٥٣ **(قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ .. الْمُتَحَابُّونَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمْ النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ)**[1] ..

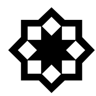
وكلمة « حَقَّت » : أى ثبتت ودامت إلى الأبد .. وقد دخل فى هذا الفضل العظيم كل مَنْ أحب فى الله ، فنصح لوجه الله ، وبذل من : ماله ، أو علمه ، أو جاهه لله دون انتظار أجر أو مقابل من مخلوق .. وكذلك كانت علاقاته بالناس : لا هدف لها إلاّ رضاء الله عز وجل ، دون النظر إلى أى غرض دنيوى ، أو نفع عاجل .. فكأنه أصبح فى حركاته وسكناته منتظمًا مع حركة الكون : فالأرض يُطرح عليها كل قبيح ، ولا تنبت إلاّ كل مليح .. والشمس تبعث الدفء ، وتبث ضياءها دون مقابل .. وكذلك القمر يحدد لنا أوائل الشهور .. والنجوم تـــهدى

---

[1] رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك .. وذكره السيوطى فى الجامع الصغير .

الناس فى ظلمات البَرِّ والبحر .. والسحاب يمطر بالجود والخير فتحيا البلاد ..

وهكذا نِعَم الوجود كلها تُعطِى وتَمْنَح طاعة لله عز وجل دون انتظار مكافأة أو مقابل .. وهكذا كان مَنْ جاء ذكرهم فى الحديث فاستحقوا محبة الله جل وعلا .. ونالوا تلك المكانة العالية والمنـــزلة الرفيعة التى يغبطهم عليها النَّبِيُّون والصِّدِّيقُون والشُّهَدَاء ..



لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُم

٥٤ (إنَّ للَّه تبَارَكَ وَتعَالَى مَلاَئكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً ، يَتتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإذَا وَجَدُوا مَجْلسًا فِيه ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا تَفرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، فَيسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ – مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْد عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ .. قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِى ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ .. قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِى ؟ قَالُوا : لاَ ، أَىْ رَبِّ .. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِى ؟! .. قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ .. قَالَ : وَممَّ يَسْتَجِيرُونَنِى ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ .. قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِى ؟ قَالُوا : لاَ .. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِى ؟! .. قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ .. فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا .. فَيَقُولُونَ : رَبِّ ، فِيهِمْ فُلاَنٌ : عَبْدٌ خَطَّاءٌ ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ .. فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ .. هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)[١] ..

---

[١] رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

الحديث يتكلَّم عن مجالس العلم والذكر التى أفاض الله تبارك وتعالى فيها من عطائه على عباده الذَّاكرين الذين جلسوها بالله ، وفى الله ، ولله .. هذه المجالس هى من فضل الله عز وجل عليهم .. إذ هو الذى خلق المكان الذى يجلسون فيه ، وهو الذى ألَّف بين قلوبـــهم وجمعهم لغير غرض إلاّ لذِكْره .. فإذا جلس قوم يتدارسون القرآن ويحفظونه فهو ذكر .. وإن جلسوا يتدارسون حديث رسول الله (ﷺ) فهو مجلس ذكر ، وإن اجتمعوا للصلاة فهو ذكر .. لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ)[1] .. وإذا اجتمعوا لدراسة الفقه فهو ذكر .. وكل ذلك من فضل الله عليهم .. والفضل الأكبر والأعظم هو القبول .. ولكن كيف يأتى هذا القبول ؟ .. لقد خلق الله تبارك وتعالى أنواعًا من الملائكة ذوى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاث ورُباع ، ويزيد فى الْخَلْق ما يشاء .. وخلق لهم واجبات : فمنهم حملةُ العرش ، ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، ومنهم الْحَفَظَة والكَتَبَة ، ومنهم ملائكة سَيَّارة مهمتهم البحث عن مجالس الذكر ، وحضورها .. وهذه المجالس قد قدر الله أن يكون لها نور يُرَى من السماء .. كما تُرَى النجومُ من الأرض .. فعندما ترى الملائكة السَّيَّارة هذا النور تعرف مكان المجلس فتتوجه إليه وتتنـــزَّل على أهله ، ويحفُّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا المسافة بين المجلس والسماء التى تبعد عنا الملايين من السنين الضوئية ، مما يُشِير إلى كثرة عددهم .. ويظلون كذلك حتى ينفضَّ المجلس ، فيعرجون إلى السماء ، فيسألهم رب العزة جل وعلا – وهو أعلم

---

[1] سورة طه آية ١٤ .

بـــهم – أين كانوا ؟ فيخبرون بالمجلس وبأهله ، ويذكرون أسماءهم .. فتصبح هذه الأسماء مَعْرُوفة فى الملأ الأعلى وإن كانت مَجهولة فى الأرض .. وكأن الله تبارك وتعالى يريد أن يَمُنَّ عليهم ، ويتفضَّل عليهم ، ويُشهد الملأ الأعلى على ذلك العطاء ، فيسألهم عما يفعل هؤلاء الجالسون ، وماذا يريدون ؟ فتأتى الإجابة بأنـــهم يُرِيدُون الجنة .. على رغم أنـــهم لم يروها ، ولكنهم آمنوا بـــها .. ويفعلون ما يفعلون من أجلها .. ويستجيرون من النار .. أى يلجأون إلى جوار رب العزة ليغيثهم من النار التى لم يروها ، ولكنهم صدَّقوا بوجودها .. ويستغفرون الله عز وجل من خطاياهم ، ومعاصيهم ، وتقصيرهم .. فتأتى الإستجابة الفورية من الرحمـــٰــن الرحيم ، ويجيب قائلاً : (**قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا**) .. ويتضح من الحديث أن هذا العطاء الربانى يتحقق من مجرد مجلس واحد .. لأن ربنا إذا قال صدق : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً)[1] .. فبما أنه قال : (**قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**) فقد غفر ما كان ، وما يكون ، وأعطاهم ما سألوا ، وأجارهم مما استجاروا ، وهذا قرار أزلى ، وخبر من الله عز وجل لا يقبل النقض ولا الاختلاف .. ولكن هذا لا يعنى أن يقوم العبد من مجلس الذكر فيفعل ما بدا له فيغفر له .. وإنما يعنى أن الله تبارك وتعالى سوف يعصِمُه بلُطْفِهِ ، ويباعد بينه وبين المعاصى بفضل هذا المجلس وبَرَكَتِه .. ولإبراز فضل وبركة الذاكرين الله ، يشير الحديث إلى أن الملائكة تعود فتستدرك وتقول : يا ربِّ ، فيهم فلان – ويذكرون اسمه أيضًا – عبد خطاء يقترف

[1] سورة النساء آية ١٢٢ .

المعاصى ، ويقع فى الخطإ كثيرًا وقد جلس معهم عرضًا وعن غير قصد منه فى المشاركة .. فيجيب الحق تبارك وتعالى بأنه قد غفر لهذا العبد أيضًا ببركة مَنْ جلس معهم .. فأى مقام لهؤلاء الذاكرين عند الله ؟! وأى فضل لذكر الله عز وجل ؟ ذلك الفضل الذى بسببه يُرْفَع الشَّقَاء عن الجالس معهم ، ويغفر له .. ولو كان جلوسه هذا عن غير قصد !!!..

وبالمقابل .. فكل مجلس لا يُذكر فيه الله عز وجل قد يُسأل عنه الجالسون ، ويصبح وِزْرًا ونَدَمًا ، لقول النبى (ﷺ) :

٥٥ (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً [(١)] ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)[(٢)] ..

والحديث يشير إلى أن كل مجلس لا يُذْكَر فيه الله عز وجل يكون عُرْضَةً للمُؤَاخذة والعقاب ومثارًا للندم والحسرة على الجالسين فيه ، ولو كان كلامهم فى المباح وليس فى المحظور .. فإن شاء الله غَفَرَ ، وإن شاء عاقب .. ولما كانت المجالس لا تخلو من مجلس مجاملة ، أو مجلس لَهْوٍ برىء ، أو مجلس عمل ، أو مجلس تُبْحَث فيه أمور الدنيا المباحة .. ولا يأتى فى هذه المجالس ذِكْر الله ، أو أمر بمعروف ، أو نـــهى عن منكر .. فقد علَّمَنا رسولُ الله (ﷺ) - رحمة بنا - كلمات إذا قِيلَتْ بعد انتهاء هذه المجالس غُفِرَ لقائلها ما كان من تقصير ، ورُفِعَ عنه العتاب والمؤاخذة ..

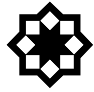
---

(١) ترة : حسرة وندامة .

(٢) رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

إذ تقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) :

٥٦ **مَا كَانَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) يَقُومُ مِنْ مَجْلسٍ إلاَّ قَالَ : (سُبْحَانَك اللَّهُمَّ رَبِّي وَبِحَمْدك ، لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفرُك وَأَتُوبُ إِلَيْك) .. فَقُلْت لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا أَكْثَرُ مَا تَقُولُ هَؤُلاَءِ الْكَلمَات إذَا قُمْت !! قال : (لاَ يَقُولُهُنَّ منْ أَحَدٍ حِينَ يَقُومُ مِنْ مَجْلسه ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ منْهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ)[1] ..**



[1] رواه الحاكم فى المستدرك عن عائشة (رضى الله عنها) .

الكَلاَمُ والهَدْىُ

٥٧ (إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَان : الْكَلاَمُ ، وَالْهَدْيُ .. فَأَحْسَنُ الْكَلامِ كَلاَمُ اللَّه .. وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد .. أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَات الأُمُور ، فَإِنَّ شَرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُهَا .. وَكُلُّ مُحْدَثَة بدْعَةٌ ، وَكُلُّ بدْعَة ضَلاَلَةٌ .. أَلاَ لاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ .. أَلاَ إِنَّ مَا هُوَ آت قَرِيبٌ ، وَإِنَّمَا الْبَعِيدُ مَا لَيْسَ بِآت .. أَلاَ إِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّه ، وَالسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِه .. أَلاَ إِنَّ قِتَالَ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ ، وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ ، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث .. أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ لاَ يَصْلُحُ بِالْجِدِّ وَلاَ بِالْهَزْلِ ، وَلاَ يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لاَ يَفِي لَهُ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّة ، وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِق : صَدَقَ وَبَرَّ ، وَيُقَالُ لِلْكَاذِب : كَذَبَ وَفَجَرَ .. أَلاَ وَإِنَّ الْعَبْدَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه كَذَّابًا)[1] ..

الحديث جامع لموضوعات عديدة ، ومبرز لحقيقة هامة .. وهى : أنه لا يجب أن يهتم الإنسان إلاّ لأمرين اثنين .. ألا وهما : القول والفعل .. فخير الكلام كلام

---

[1] رواه ابن ماجه فى المقدمة ، والبيهقى فى شُعَب الإيمان .

الله الْمُبَيِّن للحلال والحرام ، والْمُقَرِّر للأحكام ، والهادى إلى طريق السلام .. وخير الهَدْى هَدْىُ رسول الله (ﷺ) .. الْمُبَيِّن لكيفية العبادات ، والسلوكيات ، والأخلاقيات ، فلم يترك (ﷺ) أمرًا إلاّ وسنَّ لنا فيه سُنَّةً حَسَنَةً سواء أكان عبادة ، أم عادة ، لذلك حذَّرنا من مُحْدَثات الأمور .. وهى ما يحدثه الإنسان على أصل موجود .. وقد قال الحق تبارك وتعالى : (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا)[1] .. واكتمال الدين يعنى أنه لا شىء يمكن أن يُضَاف إليه ، إذ لا نقص فيه .. وعليه فإن كل مضاف إلى شرع الله أو إلى سُنَّة رسول الله (ﷺ) يكون مُحْدَثًا ، وكل محدثة بدعة .. وكل بدعة ضلالة .. والكلمة وإن كانت عامة إلاّ أن هناك استثناء لبعض الأمور التى أقَرَّهَا رسول الله (ﷺ) .. مما يعنى أن من البدع بِدَعًا سيِّئة وهى المقصود بكلمة (ضلالة) ، وبِدَعًا حسنة تباح لفاعلها ويُثاب عليها .. ودليل ذلك فى القرآن قول الحق تبارك وتعالى : (وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ)[2] .. أى إنّ الرهبانية لم تكن فى شرع النصارى ولكنهم ابتدعوها .. فمَنْ رَعَى حقّها أُثيب على ذلك ، ومن لم يَرْعَ حقَّها عُوقِب .. ومعنى ذلك أن الله قد أجاز لهم هذه البدعة .. وعليه فكل بدعة سواء أكانت قولاً أم فعلاً ما دامت مُتَّفِقَة مع شرع الله وسُنَّة رسول الله (ﷺ) فهى بدعة حسنة وجائزة .. كصلاة القيام جماعة التى

---

(1) سورة المائدة آية ٣ .
(2) سورة الحديد آية ٢٧ .

ابتدعها « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) ، وقال عنها : (**نِعْمَت البِدْعَة**) .. أما إذا كانت مُخالفة أو مُعَارِضة لشرع الله أو لسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) فهى بدعة سيئة تنطبق عليها كلمة (ضلالة) .. ويحذر الحديث من مضى الزمن على الإنسان دون تعلُّم ما يجب عليه ، والعمل به ، فيقسو قلبه .. أو أن يتباعد بالناس الزمان عن زمن الوحى فيهملون العمل بسُنَّة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتشغلهم الدنيا عن الآخرة ، فيورثهم ذلك قسوة القلب .. أو يُوغل بعضهم فى الدين بغير رِفْقٍ وتؤدةٍ وتَثَبُّتٍ ، فيملُّوا الطاعة ويفقدوا الإحساس بلذَّتِها ، وما تُضْفِيه عليهم من روحانية ، وما تُورِثه من خُلُق كريم ، وسلوك فاضل .. إذ إن العبادات وسائل وليست غايات .. ويحذرنا ربُّنا تبارك وتعالى فيقول : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ)[1] .. ثم يُؤكِّد الحديث – مُشيرًا إلى الموت وإلى يوم القيامة – أن كل آتٍ قريبٌ ، مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ)[2] .. كما يؤكد أن البعيد هو ما ليس بآت .. والحق أن الإنسان بين مخافتين .. بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، وبين آجلٍ قد بقى لا يدرى ما الله قاضٍ فيه .. والعاقل مَنْ يأخذ لنَفْسه من نَفْسه ، ومِنْ شبابه لهرمه ، ومِنْ صِحَّتِه لمرضه ، ومِنْ فراغه لشُغْله ، ومِنْ غناه لفقره .. ويبين الحديث بعد ذلك أن الشقى من شَقِىَ فى بطن أُمِّهِ .. وهو الذى كُتبت له الشَّقاوة – بعلم

---

(1) سورة الحديد آية ١٦ .   (2) سورة يونس آية ٤٥ .

الله فيه – حين كان مُضْغَةً فى رَحِمِ أُمِّه ، وكَتَبَ الْمَلَكُ له أَجَلَهُ ، ورِزْقَهُ ، وعَمَلَهُ ، وشقى أو سعيد .. وقد جاء ذلك فى حديث سبق شرحه .. والشَّقى الحق هو مَنْ خَسِرَ آخِرَته ، فالدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة .. أما السعيد فهو مَنْ وُعِظَ بغيره : فتأمَّلَ فى عاقبة العصاة والكفار الذين حَفَل القرآن ببيان مصيرهم ، فانْتَبَه وتَجنَّب الوقوع فيما وقعوا فيه ..

ويوضح الحديث بعد ذلك أن قتال المؤمن كُفْرٌ ، وسبَابُهُ فُسُوقٌ .. إذ إن كل المسلم على المسلم حرام : دَمُه ، ومالُه ، وعِرْضُه .. فإذا كان هذا المسلم مؤمنًا فلا شك أن الحرمة أشَدُّ وأفظع ..

ويبين الحديث أن مجرد خصام المسلم وهجره فوق ثلاثة أيام من المحرمات ، وقد أبيحت الأيام الثلاثة حتى تـهدأ النفوس ، ويذهب الغضب ، ويُراجع الإنسان نفسه .. فيَتَّقِى المسلم ربَّه فى أخيه المسلم ويسارع الْمُخْطِئ إلى استرضاء من أخطأ فى حقِّه .. ثم يحذِّر الحديث من عاقبة الكذب فى الجدِّ أو الهزل ، حتى لو كان بين الأب وابنه .. فلا يصحُّ أن يعِدَ الأب ابنه بشىء ثم لا يفى بوعده ، فيسىء تربيته ويكون بذلك قدوة سيِّئة له .. والأبناء أمانة يُسْأَل عنها الأبُ يوم القيامة .. وقد يغفل الإنسان عن ذلك مُعْتَقِدًا أنه مع أبنائه غير مُعَاتَب ، ولكن الكذب كذبٌ ، والصدق صدقٌ ، مهما كانت الْمُبَرِّرات ، ومهما كان مَنْ تتحدَّث معه ، ولذلك تقول الملائكة عن الصادق : (صَدَقَ وبَرَّ) فيكون مصيره إلى الجنة ، وتقول عن الكاذب : (كَذَبَ وفَجَرَ) ويُكْتَب عند الله كذَّابًا ، فيكون مصيره إلى النار وبئس القرار ..

ويقول الحق تبارك وتعالى : (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[1] .. فإذا كان كل لفظ مكتوبًا ومسطورًا ، فالفعل أَوْلَى بذلك ..

ومادام قد كُتِبَ وَسُطِّرَ ، فلابد أن يُسأل عنه الإنسان عَظُمَ أو صَغُرَ ، ويحذِّرنا النبى (ﷺ) من الذنوب الصغيرة فيقول للسيدة « عائشة » (رضى الله عنها) :

٥٨ **(يَا عَائِشَةُ ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا)**[2] ..

وهذا يؤكِّد أن العبد سوف يُسْأَل يوم القيامة عن كل ما يفعله من ذنوب أو أخطاء قد تَصْغُر فى عينيه - اعتقادًا منه بعدم أهميتها - فإذا به يُطَالَب بـها يوم القيامة .. والعاقل من الناس هو الذى تتضاءل فى نَظَرِه طاعته ، وتعظم فى عينيه معصيته ، إذ إن طاعته من فضل الله عليه ، أما معصيته فهى من فعل نفسه .. وإهمال الإنسان لصغائر الذنوب ، وعدم الاستغفار منها ، والإقلاع عنها يجعلها تتراكم عليه فتلقى به إلى النار .. ولذلك ينبِّهنا الصادق المصدوق (ﷺ) فيقول :

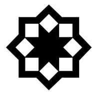
٥٩ **(إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ) .. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلاً : كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلاَةٍ ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا ، فَأَجَّجُوا نَارًا ، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا ..**[3]

---

[1] سورة ق آية ١٨ . [2] رواه أحمد مسند الأنصار . [3] رواه أحمد مسند بنى هاشم .

ومُحَقَّرَات الذنوب هى ما يعتبره الإنسان حقيرًا لا يؤاخذه الله عليه ، فهو ليس من الكبائر أو الفواحش ، وإنما هو أخطاء صغيرة لا وَزْن لها ، فيهملها ، ولا يقلع عنها ، ولا يستغفر منها ، فإذا بــها تتجمع ، وتتراكم ، وتوضع فى ميزانه فترجح كفة سيئاته .. ويُشَبِّه الحديث هذا الأمر بقوم مسافرين نزلوا بأرض واسعة خاوية لأخذ قِسْط من الراحة ، ويريدون أن يؤجِّجُوا نارًا تكفى لطهو طعامهم .. فأخذ كل واحد منهم يأتى بِعُود من الْحَطَبِ رفيع لا ينفع فى شىء ، ولا يمكن أن يُوقِد نارًا .. ولكن بعد أن جُمِعَت هذه العيدان أصبحت كافِيَة لإشعال نار عظيمة أنضجت طعامهم ..

وهذا التشبيه وإن كان غريبًا إلاّ أنه يُمَثِّل ما تفعله الذنوب الصغيرة بالإنسان الذى لا ينتبِهُ لها ، فتجتمع عليه فتهلكه .. والعياذ بالله ..



٦٠ ﴿ ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا .. وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ .. وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ .. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً ، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ ، يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ .. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ : لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ .. وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ ﴾[1] ..

يُقْسِمِ النبى (ﷺ) فى هذا الحديث على ثلاثة أمور .. وهو الصادق (ﷺ) بغير يمين :

[1] رواه الترمذى كتاب الزهد .

أولاً : لا ينقص مالٌ من صدقة ، بل يُبَارَك فيه فينمو ويزيد ، ولا إسراف فى الخير ، والله تبارك وتعالى يَبْسُطُ الرزق لِمَنْ يشاء ، ويَقْدِر ..

ثانيًا : ما من عبد يقع عليه ظُلمٌ فيصبر ، ويفوِّض أمره إلى الله إلاَّ ازداد عِزًّا ، والعزيز مَنْ أعزَّه الله : (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ)(1) ..

ثالثًا : مَنْ سأل الناس من غير فاقة أو احتياج زاده الله فقرًا على فقر .. فالقناعة أمرٌ مطلوب ، والرِّضا بما قَسَمَه الله واجب .. والقرآن يُشير إلى الفقراء الذين تَجِب لهم الصدقة فيقول : (يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا)(2) .. فليس المسكين مَنْ تردُّه اللقمة واللقمتان ، وإنما المسكين الذى أسكنه الفقر وأقعده ، وتعفَّف عن السُّؤال ، فغفل عنه الناس .. ثم يُقَسِّم الحديث الناس إلى أربعة أصناف ، لكل صنف منهم منـــزلة يبلغها بعمله أو بِنِيَّته :

الصنف الأول : رجل آتاه الله مالاً وعِلْمًا نافعًا ، فعمل فى ماله بطاعة الله .. فوصل به رَحِمَهُ ، وأنفق على الفقراء من ذوى قُرْباه ، وأدَّى حق الله فى المال فأخرج زكاته .. وهذا الصنف فى أعلى المنازل والدرجات بعمله ..

الصنف الثانى : رجل آتاه الله عِلْمًا ولَمْ يُؤْتِهِ مالاً .. فيرى الأول ينفق ماله فى سبيل الله مُبتغيًا رضاه ، فلا يحسده ، وإنما يغبطه فيدعو له ، ويتمنَّى أن يعطيه الله مثل ما أعطاه ، فيفعل فى ماله مثل فعله ، وهو صادق النِّيَّة فى ذلك ، فينال من الأجر بنيَّته ما

---

(1) سورة الحج آية ١٨ .　(2) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

ناله الأوَّل بعمله ..

الصنف الثالث : رجل آتاه الله مالاً ولَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا ، فهو يتصرَّف فيه بغير عِلْمٍ وعلى غير هُدًى : فينفقه فى المعاصى ، ولا يعمل فيه بطاعة الله ، ولا يُخْرِج زكاته ، ويمنعه عن المستحقين .. وهذا الصِّنف فى أخبث المنازل يوم القيامة ..

الصنف الرابع : رجل لَمْ يُؤْتِهِ الله مالاً ولا عِلْمًا ، ينظر إلى مَنْ ينفق ماله فى معصية الله حاسِدًا له ، متمنِّيًا لو كان عنده من المال ما يمكِّنه من ارتكاب المعاصى والإفساد فى الأرض ، فهما فى الوِزْر سواء : ذاك بعمله القبيح ، وهذا بنيَّة السُّوء .. إذ إن الأعمال بالنِّيَّة ، ولكل امرئ ما نوى ..

وهناك حديث آخر يُقْسِم النَّبىُّ (ﷺ) فيه على ثلاثة أمور أخرى فيقول :

٦١ **(ثَلاَثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ : لاَ يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الإِسْلاَمِ كَمَنْ لاَ سَهْمَ لَهُ ، فَأَسْهُمُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ : الصَّلاَةُ ، وَالصَّوْمُ ، وَالزَّكَاةُ .. وَلاَ يَتَوَلَّى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. وَلاَ يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلاَّ جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُمْ .. وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لاَ آثَمَ : لاَ يَسْتُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[1] ..

وهذه الأمور الثلاثة هى :

---

[1] رواه أحمد باقى مسند الأنصار ، والطبرانى فى المعجم الكبير .

أولاً : أنّ الله تبارك وتعالى لا يجعل مَنْ له سَهْمٌ فى الإسلام كمَنْ لا سَهْمَ له .. وأسهُمُ الإسلام ثلاثة هى : الصَّلاة ، والصَّوم ، والزَّكاة .. فلا يستوى المسلم الذى أدَّى الفرائض : فصلَّى وصام وزكَّى ، والمسلم الذى لم يحافظ على صلاته أو صيامه أو زكاته .. فلو دخل الاثنان الجنة كانت درجة مَنْ له سهمٌ فى الإسلام أعلى وأرفع من درجة مَنْ ليس له فيه سهمٌ .. فمثلاً حين يذكر النَّبىُّ (ﷺ) السبعة الذين يظلُّهم الله بظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه يذكر من بينهم الشَّابَّ الذى نشأ فى طاعة الله ومات عليها .. وبالتالى فَمَنْ عصى الله فى شبابه ثم تاب وقُبِلَت توبته ينجو من النار بفضل الله ، ويدخل الجنة برحمته ، لكنه لن يستظلَّ بظلِّ العرش يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّ العرش ..

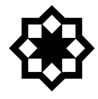
ثانيًا : أنه إذا كان العبد يتولَّى الله فى الدنيا .. أى كان مُفَوِّضًا أمره إليه ، متوكِّلاً عليه ، يقول : (**حَسْبِىَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ**) مؤمنًا بـــها ، مُطِيعًا لأوامر الحق تبارك وتعالى ، سَاعِيًا فى طريقهِ ، لاجئًا إليه ، مُستغيثًا به ، مُستعينًا به ، لا يسأل سِواه .. فإن الله تبارك وتعالى يتولاَّه يوم القيامة ولا يولِّيه غيره .. وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ)[1] ..

ثالثًا : أنه لا يُحبُّ رجلٌ قومًا إلاّ كان معهم حيث صاروا : سواء إلى الجنة ، أو إلى

[1] سورة المائدة الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

النار .. فالمرء يُحْشَرُ مع مَنْ أَحَبَّ .. وهذه نقطة بالغة الخطورة فائقة الأهمية .. فإن أحبَّ الإنسان أهل النار – والعياذ بالله – دخلها معهم ، وإذا أحبَّ أهل الجنة دخلها معهم .. أى إن المرء يلقى مصير مَنْ أَحَبَّهم ولو لم يعمل بعملهم ، فعلى الإنسان أن يُحسِنَ اختيار مَن يُحِب ، وأن ينظُر مَنْ يُخَالِل ، فالمرء على دينِ خَلِيله ..

ثم يُشير الحديث إلى أمرٍ رابع يرجو النَّبِىُّ (ﷺ) أنه لو أقْسَم عليه لم يأثم .. وهذا القول منه (ﷺ) من باب الأمل فى رحمة الله عز وجل ، ومن باب التَّواضُع وهَضْم النَّفْس .. ذلك أن مِنَ العِبَاد مَنْ لو أقسَم على الله لأَبَرَّه ، فكيف بسَيِّدِ الْخَلْق أجمعين (ﷺ) ؟! .. **وهذا الأمر الرابع هو** : إنَّ مَنْ عصى الله تبارك وتعالى فستره فى الدنيا لِعِلْمِهِ بصِدْق نيَّته فى التوبة .. فإنه سوف يَسْتُره كذلك يوم القيامة ، ولا يفضحه بين خلقه .. والسَّتْرُ فى الدنيا هو ألا يطَّلع الناس على ذنوب العبد ومعاصيه بلُطْف الله تبارك وتعالى .. أما السَّتر فى الآخرة فهو بأن يُدْنِى الله تبارك وتعالى المؤمن ، فيضع عليه كنفه ، ويستره من الناس ، ويُقرِّره بذنوبه فيما بينه وبينه ، فلا يَسمَعُهما أحد ، ثم يعطيه كتاب حسناته بيمينه كما ورد فى الحديث رقم (٣٨) السابق شرحه ..



٦٢ (لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ لَمْ يُذْنِبُوا لَخَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ خَلْقًا يُذْنِبُونَ ، ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُمْ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[١] ..

٦٣ (لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ)[٢] ..

٦٤ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)[٣] ..

هذه الأحاديث تدعونا إلى الأَمَل فى الله ، وفى سعة رحمته .. فكثيرًا ما يقع الإنسان فى المعاصى ، والذنوب ، والتقصير فى الطاعات .. ولا يمكن أن يعيش إنسان بغير خطإ .. فمَنْ ذا الذى ما أساء قط ؟! ومن ذا الذى له الْحُسْنى فقط ؟!

ومن صفات الإنسان : الضعف ، كما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى : (وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا)[٤] .. ويتضمَّن القرآن الكريم أوصافًا عِدَّة للإنسان .. منها : التعجُّل فى الأمور : (خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ)[٥] .. (وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً)[٦] .. ومنها : الظُّلْم والجهل : (وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً)[٧] .. ومنها : الكُفْر بالنِّعْمَة : (إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ)[٨] ، (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ

(١) رواه الحاكم فى المستدرك .
(٢) رواه مسلم كتاب التوبة .
(٣) رواه مسلم كتاب التوبة .
(٤) سورة النساء آية ٢٨ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٣٧ .
(٦) سورة الإسراء آية ١١ .
(٧) سورة الأحزاب آية ٧٢ .
(٨) سورة الحج آية ٦٦ .

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[1] ..

تلك طبيعة الإنسان .. وكل ابن آدم خطَّاء ، فالعِصْمة للأنبياء فقط .. وإنما تتفاوت الذنوب .. بين **كبائر** مُهْلِكة : كالشرك بالله ، وعقوق الوالدَيْن ، وشهادة الزُّور .. **وصغائر** : كالنظر إلى المرأة الأجنبية ، والتقصير فى بعض الأمور .. والذين يجتنبون الكبائر هم فى موقف أفضل وأسلم ، وأقرب إلى رحمة الله القائل : (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا)[2] .. كما أن من الناس من يقع فى الذنب فيتنبَّه ويستغفر من قريب ، ويشير القرآن إلى هؤلاء فى قوله عز وجل : (وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[3] ..

ومن الناس من تتداركه رحمة الله فيتنبَّه قبل أن يقع فى المعصية ، كالذين أشار إليهم قول الحق تبارك وتعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)[4] ..

ومنهم من يُذْنِب ولا ينتبه لذنوبه ، ولا يُبالى بـــها .. وهؤلاء قد أوكلهم الله إلى أنفسهم .. قد نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم .. فالناس فى شأن الخطإ والوقوع فى المعصية درجات وأنواع .. وعلى الإنسان الذى يقع فى الخطإ أن يسارع إلى

---

[1] سورة إبراهيم آية ٣٤ . [2] سورة النساء آية ٣١ . [3] سورة آل عمران آية ١٣٥ .

[4] سورة الأعراف آية ٢٠١ .

الاستغفار والتوبة ولا ييأس من رحمة الله أبدًا .. ذلك أن الوقوع فى الخطإ أمر لابد أن يحدث ، نظرًا إلى طبيعة الإنسان التى سبقت الإشارة إليها .. ولو لم يخطئ الناس فيستغفروا فيغفر الله لهم لتعطَّلت صفة الغُفْرَان .. والله تبارك وتعالى يقول عن نَفْسه : (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ)[1] .. (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا)[2] .. (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ)[3] ..

وما دام الله هو **غَافُر** الذنب ، فلابد أن يكون هناك مذنب يستغفر .. وما دام الله هو **الغَفُور** ، فلابد أن تكون الذنوب متعددة متنوعة وقابلة – جميعها – للغُفْران .. وما دام الله هو **الغَفَّار** .. فلابد أن الذنب الواحد الذى يتكرر ولو مائة مرة فى اليوم قابل للغُفْران فى كل مرة ..

وعليه فإن المفاضلة بين إنسان وآخر هى فى مقدار الذنوب التى يرتكبها ، ونوعيتها ، ومدى المسارعة إلى الاستغفار والتوبة منها ، والإقلاع عنها ، فهناك المجتنبون للكبائر ، وهناك المجتنبون للصغائر ، وهناك المسارعون إلى التوبة والاستغفار .. وهكذا .. وقد ذُكِرت فى القرآن أمثلة عديدة للمسارعة إلى التوبة والاستغفار .. منها ما جاء فى شأن « آدم » و« حواء » (عليهما السلام) حين أكلا من الشجرة فبدت لهما سَوْءَاتُهُمَا فسارعا إلى التوبة : (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)[4] .. ومنها ما جاء فى شأن

---

[1] سورة غافر آية ٣ . [2] سورة النساء آية ٤٣ . [3] سورة طه آية ٨٢ .

[4] سورة الأعراف آية ٢٣ .

« نُوح » (عليه السلام) حين قال له ربه : (فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ)[1] فسارع قائلاً : (رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)[2] .. ومنها ما جاء فى شأن « موسى » (عليه السلام) حين وكَزَ الرَّجُل فقضَى عليه دون قصد فسارع قائلاً : (رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي)[3] فقبل الله توبته فغفر له ..

هذا .. وباب التوبة مفتوح على مِصْرَاعيْه مهما عَظُمت الذنوب والخطايا ، وتعدَّدت ، ولو بَلَغَت من الكثرة والضخامة عنان السماء .. ولا تزال أمام المذنبين الفرصة للتوبة والرجوع إلى الله لقول النبى (صلى الله عليه وسلم) :

٦٥ **(لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ ، لَتَابَ عَلَيْكُمْ)**[4] ..

وهذا بشرط أن تكون التوبة قبل الموت وقبل أن يُغَرْغِر الإنسان لقول الله عز وجل : (وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ)[5] .. ويُنَبِّه النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى ذلك فيقول :

٦٦ **(مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ)**[6] ..

وليس معنى ذلك أن يُسَوِّف الإنسان ويُؤَجِّل توبته لأنه لا يدرى متى يأتيه الموت .. فقد يأتى فجأة ودون انتظار .. وحوادث الحياة خير شاهد على ذلك ..

---

(١) سورة هود آية ٤٦ . (٢) سورة هود آية ٤٧ . (٣) سورة القصص آية ١٦ .
(٤) رواه ابن ماجه كتاب الزهد . (٥) سورة النساء آية ١٨ . (٦) رواه الحاكم فى المستدرك .

كما أن باب التوبة سوف يُغْلَق فى وجه أهل الأرض جميعًا يومًا ما .. يومَ تطلع الشمس من مغربـــها .. مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًاۗ ﴾[1] .. وطلوع الشمس من مَغْرِبِها هو المقصود فى هذه الآية ، وهو من العلامات الكبرى لقيام الساعة .. والتى بحدُوثِها يُقْفَل باب التوبة نِهَائيًّا وتُطوى الصحائف .. ولذلك يُنَبِّه رسول الله (ﷺ) المذنبين للمُسَارعة إلى التوبة قبل حدوث ذلك ، فيقول :

٦٧ (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)[2] ..

ونحن الآن بفضل الله تبارك وتعالى ما زلنا فى دائرة الْحِلْم والإمهال .. فعلينا أن نغتنم الفرصة .. ذلك أنه إذا ما أُقْفِل باب التوبة فى وجه العبد بالموت ، أو أُقْفِل فى وجه الجميع بطلوع الشمس من مَغْرِبِها هلك من فاتته فرصة التوبة .. وأول ما يلقاه العبد الذى لم يوفَّق للتوبة قبل موته هو فتنة القبر وعذابه الذى يشير إليه النبى (ﷺ) بقوله :

٦٨ (لَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ)[3] ..

---

[1] سورة الأنعام آية ١٥٨ . [2] رواه مسلم كتاب الذكر . [3] رواه النسائي كتاب الجنائز .

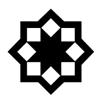
وكأن الناس لو سمعوا ما يحدث فى القبور ما اجْتَرَأ أحد على دفن أحد ، إذ إن عذاب القبر أخطر من كل تصوُّر .. وصراخ المعذَّبين فى قبورهم يسمعه كل ما على الأرض ما عدا الثقلين : الإنس والجن ، لأن كليهما يموت ويُدْفَن .. وقد وردت الإشارة إلى عذاب القبر فى قول الحق تبارك وتعالى : (ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ)[1] .. وكذلك فى قول النبى (ﷺ) : (**إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**)[2] .. وحين يموت الإنسان ويُدفن وتُسوَّى عليه الأرض يُفاجأ بأنه قد استيقظ وأُجْلِس ، وأمامه مَلَكَان يُبَادِرَانِهِ بالسؤال : مَن ربُّك ؟ ما دِينُك ؟ ماذا كُنتَ تقول فى ذلك الرَّجُل ؟- يقصدان النبى (ﷺ) دون أن يذكرا اسمه – فَمَنْ يثبِّته الله عز وجل يُلْهَم الإجابة الصحيحة فيقول : ربِّىَ الله ، ودينى الإسلام ، ويفهم الإشارة إلى النبى (ﷺ) فيقول : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ، فَأَجَبْنَا ، وَآمَنَّا ، وَاتَّبَعْنَا .. فتقول الملائكة : **نَمْ صَالِحًا ، فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا** .. أما من كانت الدنيا كل هَمِّه ، ولها سعى ، ومن أجلها عمل .. فيفاجأ بظُلْمَة القبر التى لا تَعْدلُها ظُلْمَة ، وبالْمَلَكَيْن ، والسُّؤال .. فيخاف ويرتعد ويضطرب ويتلعثم ولا يُلْهَم الإجابة ، وإنما يقول : لاَ أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ .. فتضربه الملائكة ضربة يصرخ منها صرخة ، يسمعها كل ما على الأرض إلا الجن والإنس ، ويُضَيِّق عليه القبر حتى تَخْتَلِف أضلاعه .. لذلك

---

[1] سورة غافر آية ٤٦ .

[2] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

خاف النبى (ﷺ) أن يسأل الله أن يُسْمِعَنَا عذاب القبر حتى لا نمتنع عن دفن موتانا ، ولكنه أخبرنا عنه ، وحذَّرَنا منه ، ومن ضمن تحذيره قوله (ﷺ) : (**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .. وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**)[1] ..



[1] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

أَسْعَدُ النَّـاسِ بالدُّنْيَا

٦٩ (**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ : يُكَذَّبُ فيه الصَّادقُ ، وَيُصَدَّقُ فيه الْكَاذبُ .. وَيُخَوَّنُ فِيه الأَمِينُ ، وَيُؤَمَّنُ فيه الْخَئُونُ .. وَيَشْهَدُ فيه الْمَرْءُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَشْهَدْ .. وَيَحْلفُ الْمَرْءُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ .. ويَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا : لُكَعٌ ابْنُ لُكَعٍ ، لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**)[1] ..

لا شك أنه حين يُحَدِّثُ الرسول (ﷺ) أصحابه عن المستقبل بحديث كهذا ، فهو لا يعنيهم به لأنـــهم لن يحضروا ذلك الزمان ، وإنما يعنى به الذين سيأتون فى أزمنة تالية ، ولم تتح لهم فرصة معاصرته (ﷺ) .. فيرون جانبًا من الإعجاز الدالّ على صِدْق نبوَّته ، حين يتحقَّق كلامه بعد مئات السنين ، مما يدل على كونه رسولاً يُوحَى إليه .. وكذلك يحدِّثهم بـــهذه الأحاديث ليحفظوها وينقلوها إلى مَن يأتى بعدهم فتتناقلها الأجيال إلى أن يأتى زمان تحقُّقها فينتبه الناس ، ويحتاط المؤمن لنفسه ، ويساعده الحديث على رسوخ عقيدته ، وثبات يقينه .. والصحابة رضوان الله عليهم – على رغم عدم حضورهم لذلك الزمان – حفظوا هذه الأحاديث ورووها للتابعين الذين حَدَّثوا بِهَا تابعيهم .. وهكذا حتى وصلت إلينا ، وأصبح من واجبنا أن نرويها لِمَنْ وراءنا .. لأن الزمان الذى يشير إليه الحديث زمن غريب للغاية : تختلط فيه المعايير ، وتختلُّ فيه القِيَم ، ويصبح القابض فيه على دينه

[1] رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط عن أم سلمة (رضى الله عنها) .

كالقابض على الجمر ، إذ يُصَدَّق الكاذب ، ويُكَذَّب الصادق .. ويُخَوَّن الأمين ، ويُؤَمَّن الْخَئُونُ الذى أصبحت الخيانة فى طَبْعِه .. فأين يذهب الصادق الأمين فى مثل هذا الزمان الذى تبلغ فيه الفِتَن الحدَّ الذى قد يَتَّهِم المؤمن فيه نَفْسَه ، ويُسِيء الظنَّ بالله ، وتَهْتَزّ عقيدته .. فإذا سمع هذا الحديث وأمثاله عَلِم أن الله تبارك وتعالى قد قضى بــهذا .. (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ)[1] .. وتيقَّن أن العيب ليس فيه ، فتمسَّكَ ولَزِمَ بيته قدر المستطاع ..

ويُشير الحديث إلى علامات لهذا الزمان حتى يعرف المسلم متى يأتى ، وأين هو منه ؟ أهو يعاصره أم لا ؟ فيقول الحديث : (**وَيَشْهَدُ فِيهِ الْمَرْءُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَشْهَدْ .. وَيَحْلِفُ الْمَرْءُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ**) .. والشهادة بالغة الخطورة ، ويخشاها الصالحون ، إذ بــها تتقرَّر الحقوق .. والإنسان قد ينسى ، أو يخطئ ، أو تتنازعه الأهواء .. من أجل ذلك لا يشهد إلاّ إذا طُلِب للشهادة ، فيتحرَّى الصدق والحق ولو كان على نَفْسِه أو الأقربين .. ولا يشهد تطوُّعًا إلاّ إذا كانت شهادته ضرورية لحفظ حق قد يضيع .. ولقد كان من فرط خوف الصالحين من الشهادة – لخطورة تبعاتــها – ميلُهم إلى كتمانــها .. فحذَّرهم الله تبارك وتعالى من ذلك بقوله : (وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ)[2] .. كما أن الْحَلِفَ بغير استحلاف دليل على تــهاون الحالف باليمين ، وعدم تقديره لخطورته .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ)[3] .. ثم يختم الحديث بالإشارة

---

[1] سورة الأنعام آية ١١٢ . [2] سورة البقرة آية ٢٨٣ . [3] سورة القلم آية ١٠ .

إلى أن أسعْدَ الناس فى ذلك الزمان هو لُكَعٌ ابنُ لُكَع : أى هو كافر ابن كافر لأنه لا يؤمن بالله ورسوله .. ومنبع سعادته أنه سوف يُصَدَّق ويُؤْتَمَن على رغم عدم استحقاقه ذلك ، فتتاح له فرصة أكل أموال الناس بالباطل ، وأخذ الرِّشا على شَهَادة الزور ، ويبيع دينه بعَرَض من الدنيا قليل ..

ويحدِّثُنا النبى (ﷺ) عن زمان آخر قد يواكب ذلك الزمان ، أو يكون سابقًا أو لاحقًا له فيقول :

٧٠ (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً ، يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ)[1] ..

ولعل الله يأمر الأرض فى ذلك الزمان أن تُخْرِج كنوزها فلا يبقى أحد فقيرًا ، حتى إذا خرج المتصدقُ بصدقته من الذهب لم يجد مَنْ يأخذها منه .. وهذا يخالف ما يُنْشَر من أبحاث لمختلف الهيئات والعلماء الذين يرون أن المجاعة قادمة لا محالة ، وأن حروب المستقبل ستكون صراعًا على مصادر المياه ، وأنه لابد من تنظيم النسل وما إلى ذلك .. والله يعلم وهم لا يعلمون .. أو ربما يحدث ذلك فى زمان متأخِّر جدًّا بعد حدوث الحروب والمجاعات التى يتوقَّعونـــها .. كما يُشير الحديث إلى أمر آخر ، وهو زيادة عدد النساء عن عدد الرجال حتى إن الرجل يجد نَفْسَه وقد أصبح مسؤولاً عن أربعين امرأة ، لا عائل لهنَّ شرعًا سواه .. وقد يحدث هذا بقيام الحروب وموت

---

[1] رواه البخارى كتاب الزكاة .

الرجال فلا يبقى إلاّ القليل منهم .. وقد يحدث بأن يقضى الله تبارك وتعالى لكل حامل أن تلد أنثى إلاّ القليل منهن .. وأيًّا كانت الأسباب ، فهذه الظاهرة من علامات ذلك الزمان ، وصدق رسول الله (ﷺ) فى كل ما أخبر به .. وهو يحذِّرنا من زمان آخر قد يختلف عن الزمانين السابق الإشارة إليهما ، وقد يواكبهما .. فيقول :

٧١ (**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ ، أَمِنْ حَلاَلٍ ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ**)[1] ..

والمال الحرام ليس هو المال المغصوب أو المسروق فقط .. بل إن الصانع الذى لا يُتْقِن صنعته ، والطبيب الذى يعالج فى غير تخصُّصه ، والمدرِّس الذى لا يقوم بواجبه .. كل هؤلاء وأمثالهم يتكسَّبون من حرام .. ومن عظمة الإسلام أنه يُرَبِّى الضمائر ويوقظها .. فلا يحتاج المسلم إلى رقيب من الناس .. فالرقيب عليه ضميره .. وبقدر ما نبتعد عن تعاليم الإسلام تضعف الضمائر وتموت .. وتتمثَّل خطورة المال الحرام فى أنه يُتْلِف الجسد ، ويصيبه بالأمراض المستعصية التى لا شفاء منها .. بالإضافة إلى عذاب النار يوم القيامة ، فكُلُّ لحم نَبتَ مِنْ حَرَامٍ فالنار أَوْلَى به ..

فعلى المسلم أن يتَّقِى الله فى : نَفْسِه ، وأبنائه ، ويتحرَّى الحلال فى كَسْبِه ، ويُتْقِن عمله ، ويبعد عن المال الحرام بكافَّة صوره .. ومن يستعفِف يُعِفّه الله ، ومن يستغنِ يُغْنِه الله ، ومن يتحرَّ الخير يعطَه ..

---

[1] رواه البخارى كتاب البيوع .

أَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ صَاغِرَةٌ

٧٢ (**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، وَسَدَمَهُ [١]، لَهَا يَشْخَصُ ، وإِيَّاهَا يَنْوِي ، جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَلَمْ يَأْته منْهَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ .. ومَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ ، وَسَدَمَهُ ، لَهَا يَشْخَصُ ، وإِيَّاهَا يَنْوِي ، جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْغِنَى فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ صَاغِرَةٌ**)[٢] ..

الحديث نصيحة غالية ، ودعوة لأن نكون من أبناء الآخرة ، لا من أبناء الدنيا ، فإن كل أمٍّ يَتْبَعُها ولدُها .. والدنيا إلى فناء وزَوَال ، ولا تُساوِى عند الله جناح بعوضة ، وإلاّ ما سقى منها الكافر شربة ماء .. فمَنْ كانت الدنيا هى : هَمَّه ، واهتمامه ، وشغله الشَّاغل ، يتعلَّق بـــها ، ولا ينظر إلى سواها ، قد اشتدَّ حُبُّه ووَلَعُه بـــها ، ولها يسعى ، وإيَّاها يطلب ، ومِن أجلها يَجِدُّ ويجتهد ، جعل الله الفقر بين عينيه .. فمهما جمع من مال لا يشبع ولا يقنع ، وشتَّت الله عليه ضيعته .. فلا يُجْمَع له أمر ، ولا يستقرُّ له حال ، ولا يستريح له بال ، ولا يَأمَن على ماله من غوائل الزَّمن ، فيستفرغ وقته وجهده فى محاولة الحفاظ عليه وتنميته .. وقد كان أبو الدَّرداءِ (رضي الله عنه) كثيرًا ما يدعو قائلاً : (**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ تَفْرِقَةِ الْقَلْبِ**) .. ولَمَّا سُئِلَ عن تفرقة القلب : ما هى ؟ قال : (**أَنْ يُوضَعَ لِى فِى كُلِّ وَادٍ مَالٌ**)[٣]..

---

[١] السَّدم : الولوع بالشَّىء . [٢] رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط . [٣] كتاب صِفَة الصَّفوة للجَوْزىّ .

أى أنواع مختلفة من الأموال : كالأملاك ، والتِّجارة ، والزِّراعة ، وما إلى ذلك ، فيتشتَّت القلب ، وينشغل الفكر ، ويُلْهى الإنسان عن آخرته .. أما على الجانب الآخر .. فمَنْ كان من أبناء الآخرة .. لها يسعى ، وإيَّاها يطلب ، ومن أجلها يعمل .. لا يشغله عنها شاغل فإن الله تبارك وتعالى يجعل غِناه فى قلبه .. فلا يشعر بالفقر إلاّ لله .. ولا يكون له حاجة فى شىء ، ولا احتياج إلى مخلوق ولا يلجأ إلاّ إلى الله .. ولا يسأل سواه .. يعلم علم اليقين أن ما فاته من الله سوى الله يسير ، وكل حظٍّ له سوى الله حقير .. ومَنْ كان هذا شأنه جمعت عليه ضَيعَتُه ، وصَلَحَ باله ، واستقرَّت أحوالُه ، وأَتَتْهُ الدُّنْيا صَاغِرَةً دون جهد أو تعب ، ورزقه الله من حيث لا يحتسب .. ويشير القرآن إلى هذه المعانى فى قول الحق تبارك وتعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)(١) .. فلينتبه كل غافل .. فمَنْ كان يريد الدُّنْيا لا يصيب منها إلاّ ما كُتِبَ له ، وقد يخسر آخرته .. ومَنْ كان يريد الآخرة يَسْعد فيها ، وتأتِه الدُّنْيا صاغِرَةً .. فالله تبارك وتعالى هو الْمَالك للدُّنيا والآخرة ، وهو المعطى منهما ما يشاء لِمَنْ يشاء .. وهو القائل : (كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)(٢) ..

هذا .. وقد حرص النَّبِىُّ (ﷺ) على التَّحذير من طلب الرِّزق بالمعصية .. فإن ما عند الله لا يُدْرَك بمعصِيَةٍ .. ونَبَّه إلى أن يكون طلب الرزق من الله تبارك وتعالى

(١) سورة الشورى آية ٢٠ . (٢) سورة الإسراء آية ٢٠ .

بطاعته ، واللجوء إليه دون استبطاء للإجابة .. فلن تموت نَفْسٌ حتى تَسْتَوْفِى رزقها .. وقال (ﷺ) فى هذا الشأن :

٧٣ **(لَيسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى الْجَنَّةِ إلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلاَ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ إلاَّ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ .. لاَ يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ .. إِنَّ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلاَمَ – أَلْقَى فِي رَوْعِي أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ .. فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاس ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَب ، فَإِنْ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ، فَلاَ يَطْلُبْهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُنَالُ فَضْلُهُ بِمَعْصِيَةٍ)**[1] ..

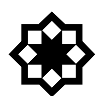
ويتَّضح من الحديث أن الرَّسول (ﷺ) لم يترك فرصة لأحد ليضيف شيئًا إلى شَرْع الله .. وإنما بَيَّن لنا بوضوح تام كلَّ عمل يقرِّبنا إلى الجنة ، ونصحنا به ، ونَهَانا عن كل عمل يقرِّبنا إلى النار ، فهو (ﷺ) كما قال الله تبارك وتعالى فيه : (حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[2] .. ومن ثَمَّ فلا مصدر للتشريع وبيان الحلال والحرام إلاّ عن طريق رسول الله (ﷺ) ومن خلال القرآن والسُّنَّة .. وأما الرزق فهو بيد الله عز وجل ، وهو مقسوم ومقدَّر ومكتوب .. فلا يجب أن يكون تحصيله هو شغلنا الشَّاغل .. والله تبارك وتعالى يقول : (لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقًاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ)[3] .. أى إنّ الله سبحانه وتعالى لا يكلِّف الإنسان أن

---

[1] رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود .
[2] سورة التوبة آية ١٢٨ .
[3] سورة طه آية ١٣٢ .

يرزق نفسه بل هو الرَّزَّاق ذو القوَّة الْمَتِين الْمُتكفِّل برزق مخلوقاته ، وهو القائل : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا)[1] ..

والْمُتأمِّل لآيات القرآن الكريم يجد أن مسئولية الرزق ليست للإنسان وأنه مكلَّف بعبادة الله والتوكُّل عليه فى كلِّ أموره .. ويشير إلى هذا المعنى قول الحق تبارك وتعالى : (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[2].. وكلمة الأمر فى هذه الآية ليست مفرد الأوامر ، وإنما هى واحد الأمور .. وعليه فجميع الأمور بيد الله عز وجل ، ومنها : أمر الرزق .. وما على الإنسان إلاّ أن يعبد الله تبارك وتعالى ويتوكَّل عليه فى سَعْيِه للرِّزق ، وفى كل أموره وشئونه .. وأن يكون جلُّ اهتمامه البحث عما يقرّبه من الجنة فيأتى منه ما استطاع ، والتحرّى عن كل ما يقرّبه من النار فيجتنبه .. ولا يستبطئ رزقه ، لأن استبطاء الرزق قد يقود الإنسان إلى محاولة الحصول عليه من خلال معصية الله عز وجل فيهلك ولا ينال من الدنيا إلاّ ما كتب له .. ولو أنه قنع ورضى وصبر لأتاه هذا الرزق من حلال دون زيادة أو نقص ، ولنجا من غضب الله وعذابه ..



---

(١) سورة هود آية ٦ .

(٢) سورة هود آية ١٢٣ .

شَهَامَةُ الْمُسْلِم

٧٤ (مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا عِنْدَ مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيه حُرْمَتُهُ ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِه ، إِلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ .. وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ، إِلاَّ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ)[1] ..

الحديث يُشِير إلى خُلُقٍ رَفِيع ، وهو : الشَّهَامَة ، وهو أَمْرٌ لا يُكَلِّف الإنسان شيئًا سِوى الوقوف إلى جانب الحق .. والشَّهَامَة فى الإنسان لا تعنى حَمِيَّة الجاهلية .. وإنَّما الشَّهَامَة خُلُقٌ يدفع الإنسان إلى الوقوف بجانب أخيه الْمُسْلِم فى الحقِّ بشجاعة وتَصَلُّبٍ .. وفى الحديث وَعْدٌ ووعِيدٌ على سُلُوكٍ إزاء موقف معين .. وهو : أن يكون الْمُسْلِم فى وضع يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِه .. أى : يُسَبُّ ، أو يُغْتَابُ ، أو يُسَاءُ إليه ، أو يُعْتَدَى على حُرْمَته ، ويَحْتَاج إلى مَنْ يُنَاصِرُهُ بالدِّفاع عنه ، والوقوف إلى جانبه .. فَمَنْ شَهِد موقفًا كهذا وسَكَتَ عنه كان ذلك منه خِذْلانًا لأَخيهِ ، وهُنَا يتحقَّقُ الوعِيد له بأن يتعرَّض للموقف نفسه ، ويتمنَّى أن يكونَ الله معه ناصرًا ومُعِينًا ، فيخذله الله – حتى ولو كان مُسْتَحِقًّا للمُنَاصَرَة – ويخيب رجاؤه وأمله بسبب خِذلانه لأخيه الْمُسْلِم مِنْ قبل .. فمن زرع حصد ..

---

[1] رواه أحمد وأبو داود والطبرانى والبيهقى .. واللفظ لأحمد مسند المدنيين .

أمَّا مَنْ نَصَرَ مُسْلمًا فى موطن كهذا فإن الله يحقق له الوعد بالنصر فى موطن يُحبُّ فيه نُصْرَته .. فَيُهَيِّئ له مَنْ يُدافِع عنه ، ويقف بجانبه .. ويصرف الله عنه كَيْد أعدائه ، فلا يُصيبون منه شيئًا .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ)[1] ..

والعِرْضُ : هو موطن الْمَدْحِ والذَّمِّ من الإنسان ، فإن قيل : فُلانٌ بَخيلٌ أو فاسقٌ فقد انْتُقِصَ من عِرْضِه .. وأمَّا حُرْمَةُ الإنسان فهى كلُّ ما يَخُصُّه ولا يَخُصُّ غيره ، ويَحْرُمُ الاعتداء عليه فيه بأىِّ أسلوبٍ كان ..

وردُّ غِيبة الْمُسْلِمِ نَصْرٌ له ، ودِفَاعٌ عن عِرْضِهِ .. أمَّا السُّكوت عن ذلك فهو خِذْلانٌ له ..

ويُشْعِرُنا الحديث بوجوب تكافُل الْمُسْلِمِينَ وتناصُرهم ، فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائر الأعضاء بالْحُمَّى والسَّهَر ..

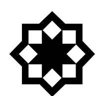
وذلك ينطبق على الدُّوَل الإسلاميَّة فيما بين بعضها وبعض ، كما ينطبق على الأفراد .. والانعزالية التى يدين بـــها بعض الدول أو الأفراد ، والاهتمام بالذَّات دون الاهتمام بالغير يُعَرِّض الأمَّة للتفكُّك والانْهزَاميَّة ، والشعور بعدم الانتماء ..

وقد نَمَى إلى علم أحد الْخُلَفاء أن مُسْلمًا يُعَذَّب لدى قومٍ قد وقع أسيرًا فى أيديهم .. فأرسل خطابًا إلى مَلِكهم يقول فيه : **لَتَرْفَعَنَّ العذابَ عَنِ الأسيرِ ، ولَتُرْسِلَنَّهُ إلينا مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا أو لأُرْسِلَنَّ إليكَ جَيشًا يَكونُ أوَّلُهُ عِندَكَ وآخِرُهُ**

---

[1] سورة الحج آية ٣٨ .

عِنْدِى .. فسارع الْمَلِك إلى إطلاق سراح الأسير ، وأعاده سالِمًا مُكَرَّمًا .. وهكذا كان التناصر بين المسلمين .. فارتفع شأنـــهم ، وساد الوئام والْحُبُّ بينهم ..



التَّنَاهِى عَنِ المُنْكَر

٧٥ (**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّته حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّته وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**)[١] ..

الحديث يُخْبرنا عمَّا حدث فيما مضى ، وكأنه سُنَّة الله فى خَلْقه .. ويتَّضح ذلك من قول الله عز وجل عن بنى اسرائيل : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ)[٢].. وهؤلاء هم الْمُتَمَسِّكُون بالكتاب وبسُنَّة نبيهم .. ثم تباعد الزَّمان عن عصر النُّبوَّة ، ونور الوَحْى ، وأهمل الناس كتابهم وسُنَّة نبيهم ، وحكى القرآن عنهم بقوله تعالى : (فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ)[٣]..

---

[١] رواه مسلم كتاب الإيمان .

[٢] سورة السجدة آية ٢٤ .

[٣] سورة الأعراف آية ١٦٩ .

وهكذا فى كل عصر وزمان ، إذا ابتعدت الأُمَّةُ عن التَّمسُّك بكتابِها وبسُنَّة نبيِّها ، تأتى أجيال لا تَعْرِف عن الدِّين إلاّ اسمه ، ولا تعرف من الكتاب إلا رَسْمَه ، وتُنْقَضُ عُرَى الدين عُرْوة عُرْوة ، وأوَّل ما يُنْقَضُ من عُرَى الدِّين : الصَّلاة .. ويشير الحقُّ تبارك وتعالى إلى ذلك فيقول : (فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا)[1] ..

وتَرْك الصَّلاة يُؤَدِّى إلى اتِّباع الشَّهوات ، فالصَّلاة نور ، وهى أوَّل ما يُسْأَل عنه العبدُ يوم القيامة ، فإن صَلَحَت ، صَلَحَ سائر عمله .. وإن فسدت ، فسد سائر عمله ..

والمحافظة على الصَّلاة تُؤَدِّى إلى التَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة قولاً وعملاً .. فالكتاب يجب أن يكون حَيًّا ، مُنَفَّذًا ، ومَعمُولاً به ، وليس أثرًا من الآثار ، فإن أصبح كذلك وتُرِكَ العملُ به رأيت الناس يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يُؤْمَرون .. فهم يتكلَّمون بالكتاب وبسُنَّة نبيِّهم ولا يعملون بـــهما ، وتخالف أعمالهم أقوالهم .. وعندئذ .. يجبُ على الْمُتمسِّكين بدينهم أن يجاهدوهم : باليد ، أو باللسان ، أو بالقلب ، كلٌّ بحسب موضعه ، وقدر طاقته .. وليس وراء الإنكار بالقلب لِمَن لا يستطيع سواه حَبَّة خردل من إيمان ، لأنه يكون حينذاك راضيًا بما يفعلون ، ومَنْ لم يشهد المعصية ورضى بـــها كان كمَنْ شَهِدَها .. وتتَّضح خطورة عدم مقاومة المنكر فى قول النَّبِىِّ (ﷺ) :

---

[1] سورة مريم آية ٥٩ .

٧٦ (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا : كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا .. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعًا)[1] ..

والحديث يضرب مثلاً للقائمين فى حدود الله – وهم الطائعون الملتزمون بأوامر الله تبارك وتعالى المجتنبون لنواهيه – وللواقعين فى حدود الله – وهم الذين اجترءوا على المعاصى ، وجاهروا بــها – يضرب الحديث لهؤلاء وأولئك مثلاً بِرُكَّاب سَفِينة ذات طابقين : أحدهما فوق خط الماء ، والآخر أسفله .. فأمَّا الطَّابق العُلوِىُّ فهو مُضىءٌ مُشْمِسٌ مُتَجَدِّد الهواء ، وأما الطَّابق السُّفْلىُّ فهو مُظلِمٌ فاسد الهواء .. وقد كان الطَّابق العُلْوِىُّ من نصيب الطائعين ، وكان الطَّابق السُّفْلِىُّ من نصيب الفاسقين ، وكأنَّها إشارة إلى أن الذين اتَّقَوا فوق المفسدين دائمًا ، وحياتــهم هنيئة سهلة ، وأمورهم مُيَسَّرة .. أما العُصَاة والفَسَقَة فحياتــهم صعبة يلقون فيها العنت ، والشِّدَّة ، والمشقَّة .. ولا نور لهم ، ولا بصيرة ، ولا حُسْنَ تدبير للأمور ، وإنَّما تحايل وادِّعَاء ، فهم يريدون خرق السَّفينة بدَعْوَى الحصول على الماء ، وعدم إيذاء مَنْ يقيمون فوقهم .. فلو تركهم الطَّائعون يُنَفِّذُون ما يريدون هلك الجميع .. وإن

[1] رواه البخارى كتاب الشركة .

ضربوا على أيديهم ومنعوهم مما يريدون نجا الجميع .. لذلك كان الواجب على الطَّائعين – إذا كان فى مجتمعهم مُفسدُون – أن يأمروهم بالمعروف ، وينهوهم عن المنكر .. وإلاَّ تعرَّض الجميع لعقاب الله .. والقرآن الكريم يشير إلى ذلك فى قول الحق تبارك وتعالى : (لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ)[1] .. وكأن اللعنة قد حاقت بـــهم جميعًا بسبب عدم التَّناهى عن المنكر ..

والرسول (ﷺ) يُحَذِّرُنا مِنْ ترك الْمُفْسِد وكأن أمره لا يعنينا ، أو أن ضرره لن يعود علينا ، ويأمرنا بمقاومة المنكر وتغييره بقوله :

٧٧ **(مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)**[2] ..

والحديث يُشِير إلى أن للتَّغيير ثلاث وسائل وهى : تغيير باليد ، وتغيير باللسان ، وتغيير بالقلب .. **والتغيير باليد هو** : إيقاف الفساد ومقاومته : بالقهر ، والسُّلطان ، والقُوَّة .. وهو مقاومة إيجابية للمُنْكَر تُؤْتِى ثِمَارَهَا لا محالة .. أمَّا **التَّغيير باللسان فهو** : محاولة إيقاف انتشاره بالنُّصْحِ ، والأَمْرِ بالمعروف ، والنَّهى عن المنكر ، وبيان عاقِبَة الفَسَاد والإفساد .. من دون أن يملَّ الْمُغَيِّرُ بِلِسَانِهِ ، أو يَيْأَسَ مِنْ عَدَمِ الاستجابة له ، أو يَكُفَّ عن الوعظ والإرشاد .. وهذا أيضًا نوع من المقاومة

---

[1] سورة المائدة الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

[2] رواه مسلم كتاب الإيمان .

الإيجابية وإن كان يقلُّ فى الدَّرجة عن سابقه .. أما **التَّغيير بالقلب** فمعناه : الإنكار الكامل للخطإ ، والتباعد عنه وعن مُرْتكبيه ، وهذا نوع من المقاومة السَّلبية التى إذا اشترك فيها الكثيرون قد ينتج عنها سقوط الْمُنْكَرِ مِنْ تلقاء نفسه بمحاصرة المفسدين حتى يصبحوا منعزلين عن المجتمع لا يتعامل معهم أحد من الناس ، فيُقْلِعُوا عمَّا يفعلونه ..

فهى إذًا ثلاثة أسلحة .. كل مسلم له سلاح يلائمه ، **فالتَّغيير باليد** يكون لِمَنْ يملك ذلك : كالحاكم فى شئون رعيَّته بِسَنِّ القوانين الرَّادعة ، الموائمة لِمَا شرعه الله وسنَّه رسوله (ﷺ) ، وكالرَّجل فى أهل بيته بما جعل الله له من قَوَامَة .. وأما **التَّغيير باللسان** فهو مسئولية العُلَماءِ فى كل مكان وزمان ، وكذلك مسئولية كل مَنْ يملك النُّصْح لغيره ، فالتَّناصح من واجبات المسلمين ، وكذلك التَّواصى بالحق .. أما **الْمُنْكِر بقلبه** فهو الذى لا يستطيع ولا يملك أن يُغَيِّرَ بيده فلا سلطان له على أحد ، وكذلك لا يستطيع أن يُغَيِّرَ بلسانه لأنه لا يملك الْحُجَّة أو البُرْهان ..

وكل المسلمين مطالبٌ بالأمور الثلاثة .. أى التَّغيير باليد لِمَنْ يستطيع أن يُغَيِّرَ بيده فيما يملك دون تجاوز ، أو تَعَدٍّ .. والتَّغيير باللسان لِمَنْ يُسْتَمَعُ إليه .. ويُعْمَلُ بِنُصْحِهِ .. والإنكار بالقلب لِمَنْ لا يستطيع أن يُغَيِّرَ باليد أو اللسان ..

وهكذا كلٌّ بحسب موقعه .. وكلٌّ بحسب طاقته .. وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول : (وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)[1] ..

---

[1] سورة العنكبوت آية ٦٩ .

٧٨ (مَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ فِي رِضَا النَّاسِ ، سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ فِي سَخَطِهِ .. وَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ حَتَّى يُزَيِّنَهُ ، وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ)(١) ..

الحديث يُبيِّن الْخِيارَ الصعب عند بعض الناس .. وهو الخيار الذى يُخْطِئ فيه الكثير منهم ، فيؤثرون رضا الناس على رضا الله ، وهم غافلون عن أن : رِضَاءَ الْخَلْقِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِى لا تُدْرَك ، وأن حُبَّ النَّاسِ لَيْسَ عَلامَةً عَلَى حُبِّ الله ، وأنَّ مَنْ أحبَّه كُلُّ الناس كان مُنَافِقًا ، ومَنْ كَرِهَهُ كُلُّ الناسِ كَانَ فاجِرًا .. وما مِنْ إنسانٍ إلاّ وله مُحِبٌّ ومُبْغِضٌ .. فالصَّالِحُ يُحِبُّهُ الصَّالِحُونَ ، ويُبْغِضُهُ الفاسِقُون ، والفاسِقُ يُحِبُّه مَنْ همُ عَلَى شَاكِلَتِه ويَكْرَهُ فِعْلَهُ الطَّائِعُونَ .. واهتمام الإنسان بإرضاء الناس أمر مطلوب ، بشرط : أن لا يتعارضَ ذلكَ مَعَ رِضَا الله عَزَّ وجَلَّ .. فإن غفل الإنسان عن ذلك ، وجعل كل هَمِّه واهتمامه هو إرضاء الناس بغض النَّظر عمَّا إذا كان فى ذلك رضاء الحق تبارك وتعالى أو سخطه ، فقد هلك وضاع وبَاءَ بسخط الْجبَّار ، الذى يُقَلِّبُ القلوب والأبصار ، وتخَلَّى عنه الله وَأَوْكَلَهُ إلى الناس الذين أرضاهم فى سخطه ، ولم يظفر برضا الناس بل باء بسخطهم

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

واحتقارهم .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول :

79 **(مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)**[1] ..

وأمثلة ذلك كثيرة نراها من حولنا .. فالعَالِم الذى لا يتكلَّم بما يَجِبُ أن يُقَال ، وإنَّما بما يُحِبُّ أن يسمعه الناس ، والمرأة التى تخرج مُتزيِّنَة كاسية عارية كى تنال إعجاب مَنْ يراها ، والذى يُطْلِق النِّكات المحظورة شرعًا لِيُضْحِكَ جُلَسَاءَهُ ، والذى يُجارى الناس فى اغتياب الآخرين ، والذى يتملَّق الرُّؤساء والحكَّام ويُداهِنهم ويُزَيِّنُ لهم أعمالهم ، والذى يشهد زورًا ليجامل قريبًا أو صديقًا .. كل هؤلاء معرَّضون لسخط الله وغضبه ، وكذلك سخط مَنْ حاولوا إرضاءهم بإسخاط الله عز وجل .. والنَّبِىُّ (ﷺ) يبيِّنُ لنا طريق الحقِّ والصَّواب والفلاح .. فإن كان اهتمامك هو إرضاء الله عز وجل - مهما سخط عليك الناس - فُزْتَ برضاه ، وأرضى هو عنك الناس الذين أسخطتهم فى رضاه ، وقَذَفَ حُبَّكَ فى قلوبـــهم ، وزَيَّنَ فى نظرهم عملك الذى أسخطهم - فرأوه حسنًا جميلاً .. فهو سبحانه قادر على كل شىء ، وقلوب العباد بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ، ويقذف فيها ما يشاء ..

ولعل فى قصة « مُوسى » (عليه السلام) ما يُؤَكِّدُ أن حُبَّ الناس وبغضهم بيَد الله عز وجل .. فقد كان فِرْعَونُ يخشى على مُلْكِه من وليدٍ لبنى إسرائيل ، يزول مُلْكُه على

---

[1] رواه الترمذى كتاب الزهد .

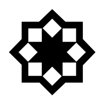
يَدَيْهِ ، فأمر بقتل كل ذَكَرٍ يُولَدُ لهم ، ومع ذلك حين جاءوه بوليدٍ فى صندوقٍ وجدوه يطفو على الماء ، ووقع نظره ونظر امرأته عليه قالت كما حكى القرآن عنها : (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ)(١) .. فاستكان فرعون لذلك ، بل الأغرب من هذا أنه أمر بالتماس المراضع له ، ولم يملّ أو ييأس كلّما رفض الوَلِيدُ مرضعًا ، حتى وجد مَنْ يَقْبَلُها الرَّضيع .. ومن الطبيعى أنه فَرَضَ لها أجرًا على ذلك ، وأكرمها ، وأطعمها ، وكساها كى تَهْتَمَّ بالرضيع ، وتكون أهلاً لإرضاعه .. ودارت الأيام ، والوليد يَشُبُّ فى قصر فرعون مُحاطًا بالرِّعاية والعناية بدليل قول فرعون له حين جاءه برسالة ربِّه كما يحكى القرآن : (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)(٢) .. والسِّرُّ فى كل ذلك أن الله تبارك وتعالى قد ألقى محبة « موسى » فى قلب كل مَنْ يراه إذ قال له : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ)(٣) .. فكان كل مَنْ تقع عيناه عليه يُحِبُّه .. بدءًا ممن وجد الصُّندوق ، وانتهاءً بفرعون الذى نَسِيَ حذره من وليد بنى اسرائيل ، وقرر أن يتَّخذه ولدًا ..

وهكذا نرى أن حُبَّ الناس ، أو بُغْضَ الناس بِيَدِ الله الذى إليه يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه .. وأن مَنْ أحبَّه الله أحبَّتْه الدنيا بأسْرِها بما فيها وما عليها ، بل وأحبَّته ملائكة الرَّحمـــٰــن فى الملأ الأعلى ، ومَنْ أبغضه الله أبغضه كل شىء فى الوجود ، وصَدَقَ رسول الله (ﷺ) إذ يؤكد ذلك بقوله :

---

(١) سورة القصص آية ٩ . (٢) سورة الشعراء آية ١٨ .
(٣) سورة طه آية ٣٩ .

٨٠ (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ .. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ ، فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ)[1] ..



(1) رواه مسلم كتاب البر والصلة .

احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ

٨١ (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ .. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ .. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**)[١] ..

الحديث يُبيِّن فضل المؤمن القَوِىِّ ، وهو الذى لا تــهزُّه الأعاصير ، ولا تتنازعه الأهواء .. فمهما تعرَّض لحوادث القضاء والقدر فهو ثابت راسخ ، أو هو كَخَامَة الزَّرع أينما جاءتــها الرِّيح كفأتــها .. إن أصابته سرَّاء شكر ، وإن أصابته ضرَّاء صَبَر .. فهو خير وأحب إلى الله من المؤمن الضَّعيف الذى قد تــهزُّه حوادث القضاء والقدر ، فيجزع ، أو يشكو ، أو يضْجَر ..

والحديث يأمر المسلم بالحرص على ما ينفعه دينًا ودُنيا .. فيعمل ، ويَجِدُّ ، ويجتهد ، ويتعلَّم ، آخذًا بالأسباب التى سُخِّرَت له ، متوكِّلاً على الله ، مستعينًا به فى جميع أموره .. إذ إن تَرْكَ الأسباب جهل ، وتَرْكَ التَّوكُّل فِسْق .. وهو فى كل ذلك لا يَصِحُّ له أن يعجز : أى يتكاسل ، أو يتوانى عن الفعل وهو قادر على الإتيان به .. فإنَّ الْحُصُولَ على الْجُودِ يستلزمُ بَذْلَ الْمَجْهُود .. فإن حدث وجاءت النَّتائج على غير ما يشتهى عَلِمَ أن وراء قدرته وتدبيره حِكْمَة الحكيم الخبير وتصريفه ..

---

[١] رواه مسلم كتاب القدر .. وجاء فى رواية ابن ماجه : (وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللَّهُ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ) ..

فيرضى بما قُسِمَ له ، ويبحث عن سبب اختلاف النتائج مع المقدِّمات .. فربَّما غفل عن شىء أو قصَّر فى شىء فيتدارك ذلك فيما يستقبل من الأمور .. فإن لم يجد شيئًا من ذلك علم أن الخير فيما اختاره الله له ، فيرضى ويحمد الله على الواقع .. ولا يقول : لو أنى فعلت كذا لكان كذا ، لأن معنى كلمة (لو) أنه كان من الممكن أن يحدث غير ما حدث ، وقضاء الله تبارك وتعالى نافذ لا محالة ومُقَدَّرٌ من الأزل ، لا يغيِّره حرص حريص ، أو تدبير عاقل حكيم .. من أجل ذلك قال النَّبىُّ (ﷺ) إِنَّ كَلِمَةَ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ .. لأن معناها عدم الرِّضا بما حدث ، وأن الأمور كان من الممكن أن تقع على غير ما حدث ، وأن الإنسان يستطيع أن يتحكَّم فى القضاء والقَدَر .. هذا بالإضافة إلى إحساس الإنسان بالنَّدم والحسرة على ما فاته ، فيُلْقِى باللائمة على نَفْسه لسوء تدبيره أو تقصيره .. إلى آخر ذلك من أمور تقدح فى صِحَّة العقيدة والتوَكُّل .. وعلاج كل ذلك أن يعمل الإنسان بنصيحة سَيِّد الأنام (ﷺ) .. فيقول : (**قَدَّرَ اللهُ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ**) ، معتقدًا أن الأمور تجرى بالمقادير ، وأن الحادثات بمشيئة الله ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يَكُن ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الضَّارُّ النَّافع ..

هذا .. ومن الأمور الخطيرة أمر غاية فى الخطورة يقع فيه بعض الناس عن جهل ، وهو محاولة معرفة الغيب فيما مضى أو فيما يُسْتَقْبَل من خلال قراءة الطَّالع ، أو قراءة الكَفِّ ، أو من خلال أوراق اللعب (الكوتشينة) ، أو قراءة الفنجان .. وما إلى ذلك .. ولهؤلاء يقول النَّبىُّ (ﷺ) مُحَذِّرًا :

٨٢ **(مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)**[١] ..

وليت الأمر يقتصر على عدم قبول الصَّلاة فقط ، بل قد يصل إلى الكفر والعياذ بالله .. لقول النَّبىِّ (ﷺ) :

٨٣ **(مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ (ﷺ))**[٢] ..

هذا .. وهناك أمر آخر لا يقل خطورة عن سابقه ، ألا وهو ما يفعله بعض الناس جهلاً من : تعليق التَّمائم ، والتَّعاويذ ، والأحجبة ، والْخرَز الأزرق ، والودع ، ورسم كفٍّ بأصابعها الخمس على أبواب المنازل ، وما إلى ذلك ابتغاء منع الحسد ، أو تَبَرُّكًا ، وما إلى ذلك .. ومن يفعل ذلك فقد وقع فى دائرة الشِّرك بالله لقول النَّبىِّ (ﷺ) :

٨٤ **(مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَقَدْ أَشْرَكَ)**[٣] ..

هذه الْمُعَلَّقَات تجلب غضب الله تبارك وتعالى ، وتُوقِع صاحبها فى دائرة الشِّرك بالله .. فيَلْقَى جزاء المشركين يوم القيامة ، بالإضافة إلى أنــها فى الدنيا تضُرُّ ولا تنفع .. وتحدث عكس ما كان صاحبها يتمنَّاه من تعليقها .. فمَنْ علَّق خرزة زرقاء لِتَقيه من الحسد أوقعته فى شرِّ الحسد ، فلا تنظر إليه عين إلاَّ وتصيبه بالحسد .. ومن

---

[١] رواه مسلم كتاب السلام .

[٢] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

[٣] رواه أحمد مسند الشاميين .

علَّق شيئًا للحفظ ، أو الصِّيانة لم يَحْفَظْه الله تبارك وتعالى و لم يَحفَظ له ما قصد حفظه ، وأَوْكَلَه إلى ما علَّقه فى صدره ، أو صدر أبنائه ، أو على باب منـــزله ، أو دُكَّانه ، أو سيَّارته .. وهكذا ، لقول النَّبىِّ (ﷺ) :

٨٥ (مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلاَ أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ .. وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً ، فَلاَ وَدَعَ اللَّهُ لَهُ)[(١)] ..

هذا .. ويجب العلم بأن الغيب لا يعلمه إلاَّ الله .. والغيب هو ما غاب عن الحواسِّ .. يستوى فى ذلك الماضى ، والحاضر ، والمستقبل ..

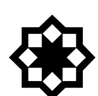
وربُّنا تبارك وتعالى يقول عن نفسه : (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا)[(٢)] .. ومع ذلك يدَّعى بعض الناس أنه يعلم الغيب عن طريق الجنِّ ليستولى على أموال السُّفهاءِ بما يزعمه – كَذِبًا وافتراء – من تسخيره للجنِّ لشفاءِ المرضى ، أو الإخبار عن أمور غَيبيَّة ، وما إلى ذلك .. والقرآن يكذِّبه صراحة ، حيث يُخبرنا ربُّنا تبارك وتعالى أن تسخير الجنِّ لم يكن ، و لم يحدث إلاَّ لـــ « سُلَيْمَان » (عليه السلام) فقط ، و لم ولن يحدث لأحد من بعده .. كما يُخْبِرنا أن الجنَّ لا يعلم الغيب حتَّى فى الأمور الحاضرة فضلاً عن الماضى أو المستقبل .. فقد مات « سُلَيْمَان » (عليه السلام) وكان واقفًا مُتَّكِئًا على عصاه ، مُشْرِفًا على الجنِّ فيما سَخَّرهم لعمله ، وهم يرونه وينظرون إليه .. ومع ذلك لم يَتَبيَّنوا موته إلاّ عندما وقع على الأرض لتآكل العصا التى كان

---

(١) رواه البيهقى كتاب الضحايا .
(٢) سورة الجن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

يتَّكِئ عليها ولَمْ يَقُمْ مرة أخرى .. ومن الطبيعى أن أكل الأرَضَةِ للعصا يستغرق وقتًا ليس بالقليل .. إذًا فقد كان « سُلَيْمَان » (عليه السلام) مَيْتًا ، والْجِنُّ يعملون ويشقون ويرونه واقفًا ويحسبونه حَيًّا .. كل ذلك يدل على عدم معرفة الجنِّ للغيب ، وصَدَقَ الحقُّ تبارك وتعالى إذ يقول : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ)[1] ..

فعلى مَنْ يؤمنون بِهذه الخرافات : من عِلْم الكُهَّان ، أو العرَّافين ، أو الجنِّ للغيب ، ومن فائدة ونفع ما يعلِّقونه من تمائم وتعاويذ ، وما إلى ذلك أن يُقْلِعوا عن هذا الاعتقاد الفاسد الذى يُفسد عقيدة المسلم ، ويوقعه فى دائرة الشِّرْك بالله .. ويسارعوا إلى التَّوبة والاستغفار لعلَّ الله تبارك وتعالى يقبل توبتهم جميعًا ، إنه هو التواب الرحيم ..



(1) سورة سبأ آية ١٤ .

مِنْ أَذْكَارِ النَّبِىِّ (ﷺ)

لقد ورد عن النَّبِىِّ (ﷺ) أنه كان يذكر الله عز وجل على كلِّ أحيانه .. وعلى كافَّة أحواله ، فلم يكن (ﷺ) يخطو خطوة أو يفعل شيئًا إلاَّ ومع كُلِّ حَرَكَة وسُكُون ذِكْرٌ خاص بــهذا الموقف ..

فإذا استطاع المسلم أن يَحفظَ هذه الأذكار ويُردِّدَها فى مناسباتــها كان ذاكرًا لله عز وجل على كافَّة أحواله ، ملتزمًا بتوجيهات سَيِّد الذَّاكرين (ﷺ) .. وهذا الالتزام يجعل العبد فى أمان من الله ، غير غافل عنه ، مستجلبًا لتوفيقه ، وبركته فى كل أعماله ، وأوقاته .. وإليك بعضًا من هذه الأذكار المباركة :

٨٦ كَانَ (ﷺ) إذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ ، قَالَ : (**أَذْهِب الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**)[1] ..

٨٧ كَانَ (ﷺ) إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : (**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**) .. وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**)[2] ..

---

[1] رواه البخارى كتاب المرضى .. وفى رواية أخرى « سُقْمًا » بدلا من « سَقَمًا » أى : مرضًا ..
[2] رواه البخارى كتاب الدعوات .

٨٨ كَانَ (ﷺ) إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِه : عِمَامَةً ، أَوْ قَمِيصًا ، أَوْ رِدَاءً ، ثُمَّ يَقُولُ : (**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيه ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ ، وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ .. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**)[1] ..

٨٩ كَانَ (ﷺ) إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَطْعَمَ ، وَسَقَى ، وَسَوَّغَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا**)[2] ..

٩٠ كَانَ (ﷺ) إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : (**ذَهَبَ الظَّمَأُ ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**)[3] ..

٩١ كَانَ (ﷺ) إِذَا اشْتَكَى : **نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِه ..**[4]

٩٢ كَانَ (ﷺ) إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِه قَالَ : (**الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِى أَطْعَمَنَا ، وَسَقَانَا ، وَكَفَانَا ، وَآوَانَا .. فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ**)[5] ..

---

(١) رواه الترمذى كتاب اللباس .

(٢) رواه أبو داود كتاب الأطعمة .

(٣) رواه أبو داود كتاب الصوم .

(٤) رواه البخارى كتاب المغازى .. واشتكى : مَرِضَ .

(٥) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

٩٣ كَانَ (ﷺ) إِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ قَالَ : (**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**)[١] ..

٩٤ كَانَ (ﷺ) يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ : (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**)[٢] ..

٩٥ مَا كَانَ (ﷺ) يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلاَّ قَالَ : (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّى وَبِحَمْدِكَ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**) .. فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَكْثَرُ مَا تَقُولُ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ إِذَا قُمْتَ ؟! قال : (**لاَ يَقُولُهُنَّ مِنْ أَحَدٍ حِينَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ**)[٣] ..

٩٦ تقول السيدة « أُمُّ سَلَمَةَ » (رضى الله عنها) : مَا خَرَجَ النَّبِيُّ (ﷺ) مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : (**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ**

---

[١] رواه البخارى كتاب الوضوء .
[٢] رواه أبو داود كتاب الأدب .. وبِأَخَرَةٍ : أى فى نِهَايَة المجلس ، وقيل فى أواخر حياته (ﷺ) .
[٣] رواه الحاكم فى المستدرك عن عائشة (رضى الله عنها) .

يُجْهَلَ عَلَيَّ)[1] ..

٩٧ كَانَ (ﷺ) إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ : (**بِسْمِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**) .. وَإِذَا خَرَجَ قَالَ : (**بِسْمِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**)[2] ..

٩٨ كَانَ (ﷺ) إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ ، قَالَ : (**لَا بَأْسَ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**)[3] ..

٩٩ كَانَ (ﷺ) إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ ، قَالَ : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ .. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**)[4] ..

١٠٠ كان (ﷺ) يقول : إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ ، فَلْيَقُلِ : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ : (**يَرْحَمُكَ اللَّهُ**) .. فَإِذَا قَالَ لَهُ : (**يَرْحَمُكَ اللَّهُ**) ، فَلْيَقُلْ : (**يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**)[5] ..

---

[1] رواه أبو داود كتاب الأدب .
[2] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .
[3] رواه البخارى كتاب المناقب .
[4] رواه مسلم كتاب صلاة الاستسقاء .
[5] رواه البخارى كتاب الأدب .

١٠١ كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِه (ﷺ) : (**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**) ، فقَالَتْ السيدة « أُمُّ سَلَمَةَ » (رضى الله عنها) : يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ؟!.. قَالَ : (**يَا أُمَّ سَلَمَةَ ، إِنَّهُ لَيسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**)[١] ..

١٠٢ كَانَ (ﷺ) يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**)[٢] ..

١٠٣ كَانَ (ﷺ) يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ .. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**) فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ ؟ فَقَالَ : (**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ ، حَدَّثَ فَكَذَبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**)[٣] ..

---

[١] رواه الترمذى كتاب الدعوات . [٢] رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

[٣] رواه البخارى كتاب الأذان .. و« المغرم » : الدَّين الذى يعجز عن أدائه .

مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ (ﷺ)

الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ .. والدُّعاءِ دليل على إيمان العبد بالله وبقُدْرَتِهِ .. وإقرار منه : بعجْزِهِ ، وفَقْرِهِ واحتياجه إلى الله عز وجل .. وعدم الدُّعاء حرمان يُعَرِّض العبد لغضب الله ، ونِقْمَتِهِ ، لأنه دليل على غَفْلَةِ العَبْدِ ، وبُعْدِهِ عن الله .. وقد أمر ربُّنا تبارك وتعالى بدعائه واعدًا بالإجابة ، ومُهَدِّدًا الذين لا يدعونه فقال : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[1] .. (فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)[2] .. (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)[3] .. (وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ)[4] ..

وأثنى سبحانه وتعالى على بعض عباده فقال : (إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ)[5] .. وقصَّ سبحانه وتعالى علينا كثيرًا من دعاءِ الرُّسل والأنبياء واستجابته لهم .. مُعَلِّمًا إيَّانا : كيف نلجأ إليه ، ونضرع فى كل الظُّروف والأحوال ..

ولا شك أن أفضل الدُّعاءِ على الإطلاق هو ما دعا به رسول الله (ﷺ) ، فهو لا ينطق عن الْهَوَى ، وقد كان (ﷺ) يلجأ إلى الله فى كلِّ حال ، مُسْتَعينًا به ، سائلاً

---

(١) سورة غافر آية ٦٠ . (٢) سورة غافر آية ١٤ . (٣) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٤) سورة الأعراف آية ٥٦ . (٥) سورة الأنبياء آية ٩٠ .

إيَّاه ، معلِّمًا الأُمَّة كيفيَّة السُّؤال والطَّلب بأجمل وأبلغ صيغ الكلام وأوفاها ، وأقربــها إلى القبول ..

وإليك مجموعة من أدعيته (ﷺ) كى تحفظها وتدعو بــها ، وعلى الله القبول :

١٠٤ اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ .. [١]

١٠٥ اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَارْضِنَا وَارْضَ عَنَّا .. [٢]

١٠٦ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ : زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ .. [٣]

١٠٧ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ .. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ .. اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ .. [٤]

١٠٨ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ،

---

[١] رواه أحمد مسند الشاميين .

[٢] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .

[٣] رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

[٤] رواه الترمذى كتاب الدعوات .

وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ ، وَالنَّجاةَ بِعَوْنِكَ مِنَ النَّارِ .. [1]

١٠٩ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَم .. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَم .. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ .. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا .. [2]

١١٠ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ ، وَإِذَا اسْتُرْحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وَإِذَا اسْتُفْرِجْتَ بِهِ فَرَّجْتَ [3] .. (ثم تذكر حاجتك) ..

---

[1] رواه الحاكم فى المستدرك .

[2] رواه أحمد وابن ماجه واللفظ لابن ماجه كتاب الدعاء .

[3] رواه ابن ماجه كتاب الدعاء .

١١١ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا ، وَقَلْبًا سَلِيمًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ .. (١)

١١٢ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا .. (٢)

١١٣ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ .. (٣)

---

(١) رواه الترمذى كتاب الدعوات .
(٢) رواه الترمذى كتاب الدعوات .
(٣) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

١١٤ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .. [(١)]

١١٥ اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي .. اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ .. [(٢)]

١١٦ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ .. [(٣)]

---

(١) رواه الترمذى كتاب الدعوات .

(٢) رواه النسائى كتاب السهو .

(٣) رواه الترمذى كتاب الدعوات .

١١٧ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ .. [(١)]

١١٨ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي .. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي ، وَهَزْلِي ، وَخَطَئِي ، وَعَمْدِي .. وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .. [(٢)]

١١٩ اللَّهُمَّ لاَ سَهْلَ إِلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً .. وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلاً .. [(٣)]

١٢٠ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .. اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ .. اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ .. [(٤)]

---

(١) رواه ابن حِبَّان والحاكم .

(٢) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

(٣) رواه ابن السُّنِّي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) .. والْحَزْنُ : ما غَلُظ من الأَرض في ارْتفاعٍ .

(٤) رواه البخاري كتاب الأذان .

١٢١ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ .. وَلَكَ الْحَمْدُ ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ .. وَلَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ .. وَلَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ .. وَلَكَ الْحَمْدُ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ .. (١)

١٢٢ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .. اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ ، مِنْكَ الْجَدُّ .. (٢)

١٢٣ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ، وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ .. (٣)

---

(١) رواه البخارى كتاب الجمعة . (٢) رواه البخارى كتاب الأذان . (٣) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .

١٢٤ مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَحْـدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ .. الْحَمْدُ للَّه ، وَسُبْحَانَ اللَّه ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَـوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه**) ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا ، اسْتُجِيبَ لَهُ .. فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ .. [١]

١٢٥ **اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ..[٢]

١٢٦ مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ : (**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**) لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ .. [٣]

١٢٧ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : (**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**)[٤]..

١٢٨ مَنْ قَالَ : (**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ .. [٥]

---

[١] رواه البخارى كتاب الجمعة .. وتَعَارَّ : استيقظ .
[٢] رواه البخارى كتاب الأذان .
[٣] رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .
[٤] رواه البخارى كتاب الأيمان والنذور .
[٥] رواه البخارى كتاب الدعوات .. و « الزبد » : الرغوة التى تعلو الماء عند اضطرابه .

وَصْفُ أُمِّ مَعْبَدٍ للنبيِّ (ﷺ)

لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) مُهَاجِرًا من مكَّة إلى المدينة ، ومعه « أبو بكر الصديق » (رضي الله عنه) ، و« عبد الله بن أُرَيْقط » يَدُلُّهُمْ عَلَى الطَّرِيق ، مَرَّ بخَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّة – وكَانَت امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً [(١)] تَحْتَبِي [(٢)] بفنَاءِ الْخَيْمَة ، ثُمَّ تُطْعِمُ وَتَسْقِي مَنْ مَرَّ بهَا – **فَسَأَلاَهَا : هَلْ عنْدَهَا شَيْءٌ ؟** .. فَقَالَتْ : وَاللَّه لَوْ كَانَ عنْدَنَا شَيْءٌ مَا أَعْوَزَكُمُ الْقِرَى [(٣)] ، وَالشَّاءُ عَازِبٌ [(٤)] ، وَكَانَتْ سَنَةً شَهْبَاءَ [(٥)] .. فَنظَرَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِلَى شَاة فِي كسْرِ الْخَيْمَة [(٦)] فَقَالَ : **مَا هَذه الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَد ؟** .. قَالَتْ : شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ [(٧)] عَنِ الْغَنَمِ .. **فَقَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟** .. قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلكَ .. **فَقَالَ : أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلبَهَا ؟** قَالَتْ : نَعَمْ بِأَبِي وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا .. فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) بِيَده ضَرْعَهَا ، وَسَمَّى اللَّهَ ، وَدَعَا ، فَتَفَاجَّتْ [(٨)] عَلَيْه وَدَرَّتْ .. فَدَعَا بِإِنَاءٍ لَهَا يُرْبِضُ الرَّهْطَ [(٩)] ، فَحَلَبَ فيه حَتَّى عَلَتْهُ الرَّغْوَةُ ، فَسَقَاهَا ، فَشَرِبَتْ حَتَّى رَوِيَتْ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرِبَ وَحَلَبَ فِيه ثَانِيًا حَتَّى مَلأَ الإِنَاءَ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا .. فَارْتَحَلُوا .. فَقَلَّمَا لَبِثَتْ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا « أَبُو مَعْبَد » يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزَالاً [(١٠)] .. فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا وَالشَّاةُ عَازِبٌ وَلاَ حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ ؟! .. فَقَالَتْ : لاَ وَاللهِ إِلاَّ أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ كَانَ مِنْ حَدِيثِه كَيْتَ

---

(١) قوية شديدة . (٢) تجلس . (٣) ما يُقدم للضيف . (٤) لم يطرقها ذَكَرٌ .
(٥) شديدة القَحْط . (٦) جانبها . (٧) التعب والجوع . (٨) اندفع اللبن من ضرعها.
(٩) يكفي الجماعة من الناس . (١٠) تلتف أرجلها من الضعف .

وَكَيْتَ ، وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا .. قَالَ : وَاللهِ إِنِّي لأُرَاهُ صَاحِبَ قُرَيْشٍ الَّذِي تَطْلُـــبُهُ .. صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ .. قَالَتْ :

١٢٩ **ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ** (١) ، **أَبْلَجُ الْوَجْهِ** (٢) ، **حَسَنُ الْخَلْقِ ، لَمْ تَعِبْهُ نَجْلَةٌ** (٣) ، **وَلَمْ تُزْرِهِ صَعْلَةٌ** (٤) ، **وَسِيمٌ** (٥) ، **قَسِيمٌ** (٦) ، **فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ** (٧) ، **وَفِي أَشْعَارِهِ وَطَفٌ** (٨) ، **وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ** (٩)، **وَفِي عُنُقِهِ سَطْحٌ** (١٠) ، **أَحْوَرُ** (١١) ، **أَكْحَلُ** (١٢) ، **أَزَجُّ** (١٣) ، **أَقْرَنُ** (١٤)، **شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، إِذَا صَمَتَ عَلاَهُ الْوَقَارُ** (١٦) ، **وَإِنْ تَكَلَّمَ عَلاَهُ الْبَهَاءُ** (١٧)، **أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْسَنُهُ وَأَحْلاَهُ مِنْ قَرِيبٍ ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ**

---

(١) ظاهر الجمال . (٢) مشرق الوجه مضيئه .

(٣) طول شق العين .. وفى رواية (ثُجْلَة) : وهو كبر البطن . (٤) صغر الرأس .

(٥) ثابتُ الحسْنِ كأَنه قد وُسِمَ . (٦) وجهه جميل كله كأَن كل موضع منه أَخذ قِسْمًا من الجمال .

(٧) سواد عينيه كان شديد السواد .

(٨) كثرة شعر العينين والحاجبين .. وفى رواية (أَشْفَارِهِ) : وهى حروف الأجفان التى ينبت عليها الشعر وهو الْهُدْب . (٩) بَحَّة يسيرة تعطى الصوت حلاوة .

(١٠) بسط .. وفى رواية (سَطَعٌ) : أى طول ونور .

(١١) شديد بياضُ العين وسَوادُ سَوادِها ، مستديرة حدقتها ، رقيقة جفونـــها ، مبيضٌّ ما حواليها .

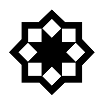
(١٢) مكحول العينين خِلقةً . (١٣) متقوس الحاجبين مع طول في أطرافها .

(١٤) الحاجبان متصلان .. وفى رواية هند ابن أبى هالة نفى اتصال الحاجبين ويبدو أن الشعر بين الحاجبين كان خفيفًا ، فصدقت الروايتان .

(١٦) الْهَيْبَة . (١٧) الْمَنْظر الْحسَنُ الرائع .

فَضْلٌ (١) ، لاَ نَزْرٌ (٢) ، وَلاَ هَذَرٌ (٣) ، كَأَنَّ مَنْطقَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ (٤) يَتَحَدَّرْنَ (٥) ، رَبْعَةٌ (٦) ، لاَ تَقْحَمُهُ (٧) عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ، وَلاَ تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ (٨) ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلاَثَة مَنْظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا ، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ (٩) ، إذَا قَالَ اسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ ، وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ (١٠) ، مَحْفُودٌ (١١) ، مَحْشُودٌ (١٢) ، لاَ عَابِسٌ ، وَلاَ مُفْنِدٌ (١٣)..

فقال أبو معبد : والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا .. لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .. (١٤)



---

(١) ما قل ودلَّ .. وفى رواية (فَصْلٌ) : أى فصيح بليغ يُفَصِّل الكلام ويُبَيِّنُه.
(٢) ليس بقليل تافه .
(٣) ليس بكثير يَكْثُر فيه الخطأ .
(٤) الدُّرّ المنظوم .
(٥) يخرج كلامه من فمه مُرَتَّبًا على درجة واحدة من السرعة .
(٦) مَرْبُوعُ الخَلْق لا بالطويل ولا بالقصير .
(٧) لا تَزْدَرِيه .
(٨) لا تكرهه وتُبغضه .
(٩) يُحيطون به .
(١٠) أسرعوا إلى تلبية أوامره .
(١١) يخدمه أَصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته .
(١٢) يجتمع إِليه أَصحابه .
(١٣) لا يُلام ولا يُكَذَّب ولا يُخَطَّأ .
(١٤) رواه ابن القيِّم فى « زاد المعَاد فى هَدْي خير العباد » .

وَصْفُ هِنْد بن أَبِي هَالَةَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ)

يقول « الْحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ » (رضى الله عنهما) : سَأَلْتُ خَالِي « هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَة » – وكان وَصَّافًا – عن حِلْيَةِ [1] النَّبِيِّ (ﷺ) وأنا أشتهي أن يَصِفَ لِي شَيْئًا منها أتعلق به ، قال :

١٣٠ **كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فَخمًا [2] مُفَخَّمًا [3] ، يَتلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ [4] ، وأَقْصَرَ من الْمُشَذَّبِ [5] ، عَظِيمَ الْهَامَةِ [6] ، رَجِلَ الشَّعَرِ [7] ، إِن انْفَرَقَتْ عَقِيصَتُهُ [8] فَرَقَ ، وإلاَّ فَلاَ ، يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ [9] ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ [10] ، وَاسعَ الْجَبِينِ [11] ، أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ [12] سَوابغَ [13] في غَيْرِ قَرَنٍ [14] ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّه [15] الغَضَبُ ، أَقْنَى الْعِرْنِينِ [16] ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ،**

---

(١) شكل . (٢) عظيم القدر . (٣) مُعَظَّمًا عند الناس . (٤) متوسِّط الطول .

(٥) الْمُفْرِط في الطول . (٦) الرأس . (٧) مُمَوج .

(٨) العَقيصةُ : الشعرُ المَعْقوص ، وهو نحوٌ من المَضْفور ، ولم يكن (ﷺ) يَعْقِصُ شعرَه ، والمعنى : إِنِ انْفَرَقَت من ذات نفسها ، وإلا تَرَكَها على حالها ولم يفرُقْها . (٩) أطاله .

(١٠) أبيض مُشَرَّب بِحُمْرة . (١١) الجبهة (ما بين الحاجبين إلى الناصية) .

(١٢) حواجبه مسوّاة خِلقةً . (١٣) كوامل .

(١٤) اتصال .. وفى رواية أم معبد (أقرن) أى متصل الحاجبين .. ويبدو أن الشعر بين الحاجبين كان خفيفًا ، فصدقت الروايتان .

(١٥) يملؤه بالدم فينتفخ ويظهر . (١٦) بأنفه ارتفاع وسط قصبته مع دِقَّة أَرْنبته (طرفه الذى يُسجد عليه).

يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ [1] ، كَثَّ اللِّحْيَةِ [2] ، سَهْلَ الْخَدَّيْنِ [3]، ضَلِيعَ الْفَمِ [4] ، أَشْنَبَ [5] ، مُفَلَّجَ الأَسْنَانِ [6] ، دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ [7] ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ [8] فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ [9] ، بَادِنًا مُتَمَاسِكًا [10] ، سَوَاءَ الْبَطْنِ والصَّدْرِ [11] ، عَرِيضَ الصَّدْرِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ [12] ، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ [13] ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ [14] ، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ [15] والسُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ ، عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ ، أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ [16] ، رَحْبَ الرَّاحَةِ [17] ، سَبْطَ الْقَصَبِ [18] ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ [19] ، سَائِلَ الأَطْرَافِ [20] ، خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ [21] ، مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ [22] ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ [23] ، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا [24] ، يَخْطُو تَكَفِّيًا [25] ، وَيَمْشِي

---

(1) مُرتفع أعلى الأنف . (2) كثيف شعر اللحية . (3) قليل لحم الخدين .

(4) عظيم الفم . (5) أسنانه بيضاء برَّاقة . (6) أسنانه غير متلاصقة .

(7) الشعر بين العُنُق والسُّرَّة . (8) مستوٍ كعُنُق عروسة من عاج . (9) التناسب بين الأعضاء .

(10) مُمْتلئًا بغير ترهُّل . (11) مستويَهُما لا يبرز أحدهما عن الآخر .

(12) مجتمع رأسي الكتفين بالذارعين . (13) مجتمع العظام كالْمَنْكِبَين والرُّكْبَتين والورِكَين .

(14) المواضع التي خلت من الشعر . (15) موضع القلادة من الصدر . (16) عظام الذراعين .

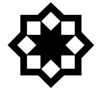
(17) واسع الكفِّ . (18) ممتد الساعدين والساقين . (19) كسا اللحم عظامها فهي لَيِّنَة.

(20) رشيق الأصابع . (21) الْقَدَم ليس مُسَطَّحًا ، بل مرتفع وسطه عن الأرض .

(22) ملساوان ليس في ظهورهما تَكَسُّر . (23) ينحدر .

(24) لا يَجُرُّ قدميه على الأرض . (25) يتمايل للأمام .

هَوْنًا (١) ، ذَرِيعَ الْمَشْيَةِ (٢) ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ (٣) ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا (٤) ، خَافِضَ الطَّرْفِ (٥) ، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ (٦) نَظَرِهِ الْمُلاحَظَةُ (٧) ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ (٨) ، يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلاَمِ .. (٩)



(١) برفق ولين وتَثَبُّت . (٢) واسع الْخُطَا . (٣) كأنه ينـــزل من مكان مرتفع .
(٤) يَلْتَفِت بصدره مع رأسه . (٥) غاضَّ البصر . (٦) مُعْظم .
(٧) النظر بطرف العَيْن دون اجتراء . (٨) يمشي خلفهم .
(٩) رواه البيهقى فى شعب الإيمان ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والترمذى فى الشمائل المحمدية .

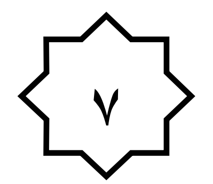
وبعد ..

أيها القارئ الكريم .. لعلَّك قد عِشْتَ سُوَيْعَاتٍ مع نور أحاديث رسول الله (ﷺ) ، وإعجازها الفَذِّ فى ألفاظها ومعانيها .. نفعكَ الله بها ، وأَلْهَمَكَ العمل بما جاء فيها .. ولعلَّك قد رسمت صورة فى مخيلَتِكَ لشكل أكمل المخلوقات وأفضلها على الإطلاق (ﷺ) من خلال وصف « أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّة » التى أدْلَت به بفطرتها السَّليمة ، ودون أن تعرف أنه رسول الله (ﷺ) .. وكذلك من خلال وَصْف وَصَّاف العرب « هِنْد بن أَبِي هَالَة » الذى اتَّفق مع وَصْف « أُمِّ مَعْبَدٍ » فى أَدَقِّ التَّفاصيل .. وعليك بعد ذلك أن تُعِيدَ قِرَاءة الكتاب وأنت مُسْتَحْضِرٌ لصورة النَّبِيِّ (ﷺ) وكأنه يُخَاطِبُك شَخْصِيًّا بهذه الأحاديث فتتَّضح لك معان ، وأنوار ، وإشراقات لم تتنبَّه لها فى قِرَاءَتِك الأُولَى .. ولَعَلَّ الله تبارك وتعالى أن يرزقك رؤيته (ﷺ) فى الْمَنَام ، فإن مَنْ رآه فى الْمَنَام فقد رآه حَقًّا ..

و((الله)) وَلِيُّ التَّوْفيق ..

ياسين رشدي

الكتاب القادم



التَّرْبِيَةُ فِي الإِسْلاَمَ

-كيف نُرَبِّي أبناءنا التربِيَة السَّلِيمَة - بدءًا من اختيار الزوجة ، وانتهاءً بتزويجهم - طبقًا لتوجيهات الرسول الكريم (ﷺ) ، حتى يشُبُّوا على طاعة الله وبِرِّ الوَالِدَيْن ..

-كيف تختار شريك الحياة ؟

فترة الخطُوبة .. المعاشرة الزوجِيَّة .. الحمل .. الولادة .. الرِّضَاعة .. الفِطَام .. آداب العادات من : أكل ، ونوم ، وغيرها .. تربية الذوق .. تنمِيَة الهوايات .. دخول المدرسة .. سِنّ المراهقة .. سِنّ الشباب .. موضوعات أخرى ..

الفهـــرس

رقم الإيداع ٨٣٢٨

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 – 14 – 0092 - 4

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية